مسارات الرعب 1

HORROR TRACKS

خارج السيطرة



وسام سعيد

دار دوّن

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

مسارات الرعب (١)
خارج السيطرة

رواية..

وسام سعيد

مسارات الرعب..

لقد ولى زمن الطمأنينة.. وأن تغط مسترسلاً في نوم عميق..الآن لا وقت.. فقد اندفع هدير صرخات الضحايا.. من البوابة (ن).. فلا راد لشره.. رياحُها الساخنة تقترب.. هل شممتها؟ إنها الآن خلفك.

لقد وقع في مرمى حممها الغاضبة ٤ أشخاص اختارهم القدر.. ليجدوا أنفسهم متورطين في قصصها التي لا تنتهي.. إنه فريق (مسارات نون السوداء)، الذى تكون تلقائياً، وليس اختيارياً.. وهم كالتالي:

١ - الدكتور مريد

طبيب نفسي في أواخر الأربعينيات.. يمتلك واحدة من أكبر مستشفيات العلاج النفسي والإدمان في مصر.. يسعى دائما لاكتشاف كل جديد في مجاله.

٢ - حمزة التاجي

شاب ثلاثيني.. لا يجد روحه إلا بين دفتى كتاب أو أمام «اللابتوب» الخاص به، لا يتوقف عن الإبحار في عالم (الباراسيكولوجي) وعلم النفس الموازي وعلم الخوارق، وقصص الأشباح، وتناسخ الأرواح، والقوى غير المرئية.

٣ - نزار غنيم

كاتب صحفي في مطلع الأربعينيات.. يتمتع بقدرات خاصة في الرياضة الروحية، وتمارين التحكم النفسي والذهني، نتيجة لتصوفه وحبه لآل البيت، ورغبته العميقة في الحياة.. يعشق المرح في أعتى لحظات احتباس الأنفاس.

٤ - فدوى عبد الدايم

صحفية حوادث تبلغ من العمر ٢٦ عاماً.. تمتلك ذكاءً حاداً وشجاعة تليق بطبيعة عملها.. ولكن جمالها وبراءتها الملفتان لم يشفعا لها فيما ستقبل عليه من أهوال جراء دخولها عالم (ن).

لقد غادرنا نحن سكان الأرض منذ أيام عهد السكينة.. وعبرنا دون أن نشعر أولى بوابات الظلام.. والأخطر سيتوالى تباعاً.. من الآن حاول الفرار.. والزم توازنك مهما شاهدت.. مهما انقلبت أمامك الإحداثيات واختلت القوانين.. الزم ثوابتاً عشت عليها وتفهمتها.. لعلك تخرج من قائمة ضحايا تلك المسارات المظلمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(١)

مع دقات الخامسة مساء.. كان البيت يزداد هدوءً ورقيًا وتألقًا، تفوح أركانه سحرًا، صنعه تناسق الأثاث وفخامته، والإضاءات الخافتة الجانبية وهي تنتشر على جدران وأعمدة بهو الشقة الفاخرة.

الزهور تعتلي «فازة» كبيرة تتوسط المائدة المعدة لاستقبال عشاء فاخر لفردين.. أطباق وكاسات وشموع حمراء وموسيقى خافتة.. وصوت خطواتها الواثقة من كعب حذائها تكشف عن أنوثة ورقى تليق بسيدة البيت الجميلة ذات الثلاثة عقود من عمرها.

لا زالت تروح وتجيء لتطمئن على تناسق كل شيء، وهي تعطى إرشادات وأوامر للخادمة لاستكمال إعداد السفرة الفاخرة. ووضع الورود في أركان البيت.

- تمام كده يا هانم.. طفيت ع الأكل في الفرن ولفيته بالفويل، والبواب جاب الحاجة اللي حضرتك طلبتيها وحطيتها في المطبخ، أى خدمة تانية ولا أروح.

- لا خلاص كده.. شكرًا.. خدي الزبالة معاكي وريحي بكره ما تجيش.

- بجد؟!.. ربنا يخليكي يا أبلة شهيرة..كتر خيرك..مش عايزه حاجة؟!

لم تلتفت لها سيدتها، وهي تنظر في المرآة لضبط القرط في أذنها دون رد. فطأطأت الخادمة رأسها بخجل وردت:

- طب سلام عليكم!

جلست «شهيرة» أمام التليفزيون وهى تقلب بين المحطات والقنوات في ملل وتوتر، ولم تعر أى اهتمام يدل على أنها على وعي بما يجري حين ظهرت على الشاشة مراسم حفل تنصيب دونالد ترامب رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، وسرعان ما ملت من التليفزيون فتجاهلته تماما وأمسكت بهاتفها المحمول، لقضاء الوقت وماهي إلا لحظات وبدأت تتأفف ضجرًا من مرور ساعة كاملة وهي تنتظر.

وطفقت بفعل الملل تروح وتجيء، ثم تحاول الاتصال عبر هاتفها، أكثر من مرة، لكنها لم تتلق ردًا.. مجرد «رنات»، ثم رسالة صوتية بأن الهاتف الذي تريدين الاتصال به خارج نطاق الخدمة.. وأخيرًا رن الهاتف الذى تطلبه من جديد، ولكن هذه المرة «يكنسل» هذا الشخص المكالمة.. فتشتاط غضبًا وتعجبًا

- مش عارفة بيكنسل عليا ليه.. ده عمره ما عملها!!..ماشي يا رامي!!.. قالتها بعصبية وانفعال وهي تقذف بالموبايل على الأريكة.

ودون يأس واصلت الاتصال مرات عديدة وفي كل مرة يرن الهاتف المقابل ثم «يكنسل» المكالمة، فيتضاعف حنقها وغيظها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي نهاية للانتظار والترقب انفتح الباب بالمفتاح، ودخل (رامي) وبدا لا يقل أناقة ووسامة ورقى عن البيت وصاحبته، تعلو وجهه ابتسامة حانية لكنها مستفزة، وهو يقترب من «شهيرة» التي

تنظر إليه في غضب كامن، فيحاول احتضانها بحب في حين تدفعه بكلتا يديها بعيدًا عنها وتصرخ في وجهه:

- ممكن أفهم بقى موبايلك فيه إيه؟!.. ومن امتى بتكنسلني أصلا... وليه ما طلبتنيش بعدها.. أنت عارف أنا كلمتك كام مرة؟!.. أنت إزاى ما تردش عليا يا «رامي»؟!

تزداد ابتسامة رامي الحانية المستفزة اتساعًا، ولا يرد بكلمة، ثم يدس يده في جيبه بهدوء ويخرج منها علبة تعرف شكلها ولونها كل سيدة في العالم، فيفتحها ويمسك بخاتم «سوليتير» بريقه ليبهر العينين ويمد يده لزوجته طالبًا منها يدها قائلًا بثقة ورومانسية مفرطة:

- كل سنة وانت طيبة يا حبيبتي.. وكل سنة وحبنا يزيد ما ينقص أبدًا..

ترفض مد يدها نحوه في غضب ممزوج بالدلال، فيستعطفها ثانية:

- حبيبتي أنا آسف والله كنت ساعتها واقف مع الراجل بانقى الخاتم وباخد «الجرانتيه» بتاعه.. وبعدين جالتلي مكالمة طويلة طول ما أنا فى الطريق لحد ما وصلت،فقلت اطلع وأصالحك بنفسي...خلاص بقى...علشان خاطري... ما تزعليش بقى.. طب ده حتى أنت مابصتيش ع الهدية!!

اختلست شهيرة نظرة خاطفة نحو الخاتم في يد زوجها، فتغيرت ملامح وجهها، واعتدلت في جلستها،ملتفتةً نحوه بكامل جسدها، ثم تذكرت أنها في حالة عتاب، فسيطرت فورا على نبرات صوتها وقالت بابتسامة خفيفة وهي تمد يدها له كي يلبسها الخاتم:

- وأنت طيب... ربنا يخليك.. بس برضه اوعى بعد كده مهما حصل أكلمك وما تردش عليا

- (مقبلا يدها) خلاص يا روحي.. يالا بقى علشان شامم روايح جبارة وواقع م الجوع..وبعدين إيه الجمال ده..أنا في حياتي ما شفتش ولا هاشوف أجمل ولا أحلى منك في الدنيا..

- طب يالا ع السفرة.. أنا عاملالك كل الأكل اللي أنت بتحبه..

- حالا خمس دقايق وأكون معاكي

بينما دخل رامي غرفة النوم البعيدة في المنزل المترامي، وبدأت شهيرة في اشعال الشموع

رن جرس الهاتف.. فنظرت إليه بدهشة لأن الهاتف المنزلي ليس إلا ديكورًا فقط ولا يتلقون عليه أى مكالمة، فتركته يرن حتى توقف ثم نادت:

- رامي... يالا بقى..أنت كمان هتقعد ساعة في الحمام

- (نادى رامي من الداخل) حاضر يا روحي..أنا مش في الحمام أنا باحط ساعتي وباقلع الجاكيت وجاى

من جديد يرن الهاتف المنزلي بصوته الكلاسيكي المزعج، فتنهض شهيرة من مقعدها على السفرة في توتر، وتقرر الرد عليه:

- ألو

- أيوه يا روح قلبي أنا قدامي ربع ساعة وأبقى عندك

- ألو!!

- أيوة يا شوشو..مش سامعاني؟!

تتسمر شهيرة في مكانها، وتفغر فاها في اندهاش وتعجب.. وتجيب في صوت متحشرج

- أأأيوه..م م م مين؟!

- نعم؟!!..مين يعني إيه؟!... أنت بتكلميني أنا يا حبيبتي؟!

تزداد علامات الحيرة والخوف على وجهها، وتفرك أذنها من وقع هذا الصوت المألوف جدا على مسامعها ثم تعاود الرد:

- أنت مين؟!

- مين؟!!!.... أنا رامي يا شهيرة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)

لم تفلح محاولات شهيرة في السيطرة على أعصابها،حين تأكدت شكوكها في صوت زوجها الذى يحدثها عبر الهاتف.. وقبل أن ترفع عينيها ناظرة للكوريدور وهي تحاول البحث عن إجابة للسؤال البديهي الذى اخترق ذهنها فورًا: من يكون إذن ذلك الرجل الذى في الداخل وحدثني وقبَل يدي منذ دقيقة واحدة؟!، سقطت السماعة من يدها وجحظت عيناها وتفجرت خيوط بيضاء فورا في بعض خصلات شعرها الكستنائي من هول ما رأت.. وما أفظع ما رأت!!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في غرفة المستشفى الفاخرة كان الدكتور(مريد عز الدين) بملامحه الجادة الواثقة واقفا بجانب سرير شهيرة ممسكا بمعصمها ليقيس نبضات القلب تقديريًا.

فمن طبيعي أن تسند إليه مهمة التعامل مع حالة انهيار عصبي من الدرجة القصوى مثل حالة شهيرة.. وهو مَن هو في الطب النفسي والعصبي، وابن الدكتور أحمد عز الدين أحد أقطاب العلاج النفسي والعصبي في مصر في السنوات العشرين الأخيرة.

أخرج الدكتور (مريد) السماعة من أذنه في هدوء، ونظر لمن حوله في الغرفة وهم رجلان وسيدة متجاوزين الخمسين من عمرهم، وتبدو عليهم علامات القلق والتوتر.

فابتسم لهم ابتسامة مصطنعة ثم سأل:

- معلش هاضطر أسألكم تاني.. هي المريضة تقرب لكم إيه؟!

ردت السيدة نيابة عنهم:

- احنا جيرانها يا دكتور..مدام شهيرة وأستاذ رامي جيراننا..ولما سمعنا صريخها الهستيري جرينا على باب شقتهم، وقعدنا نخبط، لحد ما نادينا البواب واضطرينا نكسر الباب، فلاقيناها مغمى عليها.

- وجوزها فين؟

- ما نعرفش..هي كانت لوحدها

التقط أحد جيرانها خيط الحديث سريعا، وقال:

- أعتقد يا دكتور إنه كان على وصول وهي مستنياه، لأن السفرة كانت متحضرة، ومش عارف ليه جاي لي إحساس إنها سمعت خبر مش لطيف في التليفون لأن السماعة كانت مرمية ع الأرض..ده أنا حتى لسه كنت باقول للأستاذ عادل ومدام سميحة إننا لازم نطمن على الأستاذ رامي فورًا

- الطبيب في اندهاش: رامي مين؟!

- رامي جوزها يا دكتور..

- آآه لا مؤاخذة...طب وكلمتوه؟!

- طبعا.. وعمالين نتصل وما بطلناش تليفونات.. وما بيردش

- طب فين اخواتها؟!..أبوها؟!..أمها؟!

- مفيش يا دكتور إحنا نعتبر أهلها حاليًا لأن من ساعة ما سكنوا في العمارة من سنة تقريبا، عرفنا إن مدام شهيرة مالهاش قرايب، والأستاذ رامي مالوش غير أمه وعايشة في بلدهم واتوفت من سنة تقريبا، كل معارفهم صحاب وشلل شباب قدهم

سالته جارتها السيدة الكبيرة في شفقة وحزن:

- طب هي عاملة إيه يا دكتور..ده شكلها صعب أوى؟!

- والله للأسف حالتها صعبة فعلا.. وعندها انهيار عصبي حاد.. من الخبر اللي ممكن تبقى سمعته زى ما حضراتكم بتقولوا.. فطبعًا كنت عايز أعرف ملابسات الموقف إيه ومين اللى كان معاها وحصل إيه؟...عموما أنا هاخليها هنا تحت عنينا لحد ما تفوق من أثر الحقنة المهدئة وتبدأ تتكلم..أو يوصل جوزها بالسلامة ونفهم إيه اللي حصل...تقدروا تتفضلوا حضراتكم لو حبيتوا هي مش هتحتاج مرافق الممرضات هنا على درجة عالية من الكفاءة وهيقوموا بكل حاجة، وانا هاعدى عليها الصبح..وأبلغ حضراتكم لو فيه حاجة..لو أمكن بس نعدى ع الحسابات نشوف الدنيا إيه؟!

شكر (د.مريد) جيرانها وخرجوا من الغرفة جميعًا، والسيدة سميحة تنظر لشهيرة بأسى شديد والدموع في عينيها، وفور خروجهم قال الأستاذ عادل لجاره:

- هو أنت ليه ما قولتش للدكتور الحقيقة؟

- حقيقة إيه؟!

- إن جوزها كان معاها

- وإحنا إيش عرفنا؟

- أنت ما سمعتهاش وهي بتصرخ كانت بتقول بهستيريا: لاااااا يا رامي لاااا يا رامي

- أيوه سمعناها كلنا بس ده مش معناه إنه كان معاها

- وبعدين إحنا مش فتشنا الشقة لما خفنا يكون حرامي وما لقيناش حد..

معاها ايه بس يا عادل... إيه إلي بتقوله ده؟... أنا متأكد إن الأستاذ رامي جراله حاجة... وهي كانت بتتحسر عليه وتقول «لا يا رامي»... عموما إدينا عملنا اللي علينا وإطمنا عليها لحد ما تتضح الأمور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في وقت ما يستوحش الليل حتى يصبح لسكونه صوت دفين...عميق ينال من ثباتنا وقدرتنا على ادعاء الهدوء... ونشعر حينئذ أن كارثة ما على الأعتاب.

أمام مبنى العمارة، في الحي الراقي توقفت سيارة الأستاذ (عادل التاجي) ومدام سميحة وخرجا منها متوجهين للبوابة وهما يتحاوران حول ما حدث ويدعوان لشهيرة بالشفاء ولزوجها بالعودة

سالما في أسرع وقت. ثم توقفا عندما رأوا شابًا قوي البنية، متناصف الجسد، بشرته السمراء قليلا لا تنال من وسامته، يتحدث إلى البواب ويستفهم منه ما حدث..فبادر الأستاذ عادل بسؤاله متلهفًا:

- أهلا بيك يابني.. هو أنت زميل رامي؟!

فاجاب بامتعاض وهو ينفث دخان سيجارته: الحقيقة لا.. أنا قريب مدام شهيرة.. وجيت طالع لاقيت البواب بيحكيلي اللي حصل

- أهلا بيك يابني ده إحنا ك...

قاطعه بحدة: هي في مستشفى إيه يا حاج؟

رد عليه بإحراج: مستشفى (حياة) هنا في مصر الجديدة..اللي في آخر الشارع

تركه الشاب دون أن يشكره، وركب سيارته الفاخرة مشعلا سيجارته وهو ينفخ دخانها تجاه نظره إليهم ثم أشار للبواب وحده

- عايز حاجة يا صابر

- لا تسلم يا بيه

- الأستاذ عادل: إيه قلة الذوق دى..أما قليل الأدب صحيح.. أنت تعرفه يا صابر

- لا أبدًا يا بيه

- أبدًا زاى..ما هو عارف اسمك أهو؟

- هو جه كام مرة مع المدام بتاعته للأستاذ رامي ومدام شهيرة..وبيديني علبة م الحمرا المستوردة..بس كده!!

- يالا يا سميحة لأحسن دماغي استوت م اللي شفته النهارده

قالها الأستاذ عادل بحنق وغضب، تاركا البواب وحده أمام العمارة بعد أن أوصاه ألا يغفل هذه الليلة تحديدا عن باب العمارة، وأن يسهر حتى الصباح في انتظار وصول رامي.

وفي تمام الثانية عشرة مساء كان البواب جالسًا أمام باب العمارة يستمع لأم كلثوم وفي يده كوب الشاي وسيجارته مستعدا لتلك الليلة الصعبة، وهو يصارع النوم ويوقظ نفسه وسط هدوء الشارع وصمته القاتل...

مرت ساعة كاملة، ورشفات الشاي وصوت أم كلثوم يتصدران تفاصيل المشهد.

ساعة أخرى..والشارع الهادئ لا يوجد فيه ما يدعو للغرابة أو الخوف...

لكن يبدو أن للطمأنينة نهاية.. وللسكون أسوار تبدأ بعد حدودها المعاناة..

فهاهو عم «صابر» البواب يستسلم للطبيعة وتسافر عيناه في ملكوت آمن.. وثمة شيء في الظلام يبدو مشوشًا غير متضح خلف ظهره وراء الباب الزجاجي، لعله هناك من يقف مبتسمًا من داخل العمارة الموصد بابها!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في غرفة الطبيب النبطشي.. بدا الشاب الأسمر أكثر أدبًا ورقيًا وهو يتحدث بهدوء ملتمسًا من الطبيب صغير السن أن يسمح له برؤية شهيرة

- حضرتك أنا لازم أطمن عليها..مستحيل ما أشوفهاش!!

- يا أستاذ والله ما ينفع.. من ناحية طبية مش هينفع، ومن ناحية إدارية كمان..

- ليه طيب؟

- لأن حالتها ما تسمحش بزيارة ولسه ما فاقتش..ومن ناحية تانية الدكتور (مريد) معرفني تفاصيل الحالة دى،وقال لي إن قريبها الوحيد هو جوزها...وتقريبا مختفي من إمبارح..يبقى إزاى حضرتك عايزني أدخلك تشوفها لمجرد إنك قريبها..رغم إنك قلت في الريسبشن إنك أخوها ورجعت نفيت ده قدامي..بس مش مهم...مش هاركز في تفاصيل ما تخصنيش...كل اللى أقدر أعمله إني اطمنك عن حالتها لحد ما تفوق على بكره الصبح بإذن الله

- كده!!..طب شكرًا يا دكتور..عموما ده الكارت بتاعي...ممكن تكلموني لما تفوق...ولا دى كمان صعبة؟!!

قالها (خالد بكر) بحنق شديد، وانصرف غاضبًا مغادرًا المستشفى، وهو ينظر لمبناها وغرفها من الخارج وكأنه يريد أن يقتحمها ليدخل ويرى شهيرة.

ثم ركب سيارته وانطلق بها..أشعل سيجارته...نفث دخانها بطريقته الخاصة المستفزة.. وبدت عليه علامات الغضب حين أخذ يسدد الضربات واللكمات ل. «تابلوه» السيارة بهستيريا وهو سائق..ثم للحظة نظر في المرآة الداخلية، وكانت هي اللحظة...

حين وجد وجه (رامي) تكسوه الدماء، فطاشت يده ذعرًا من على (الدريكسيون) وانحرفت السيارة وسط الشارع وكادت أن تنقلب به، لولا أنها اصطدمت بصندوق قمامة حديدي...

غادر خالد كابينة السيارة في هلع.. وابتعد عنها ناظرا إليها من بعيد..وظل يفرك عينيه ويحك وجهه بعنف.وهو يتمتم:

- مش ممكن...مستحيل... دى أفلام... أنا في فيلم.. ليه كده... يارب... يارب أكون بيتهيألى..طب أعمل إيه أروَح إزاى..أنا مش هاروح..أنا هافضل كده للصبح

جلس خالد على الرصيف وحده في الشارع الخالي من المارة، لا يفعل شيئا غير أنه يشعل سيجارة تلو الأخرى وعيناه جاحظتان يحاول تفسير ما رأى

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من أمام العمارة استيقظ البواب بعد فاصل من النوم العميق دام ٣ ساعات.. فنظر لساعته لينهض مفزوعا يؤنب نفسه.كيف غلبه النعاس، وقبل أن يهم بإشعال سيجارة باحثًا عن الكبريت داخل جلبابه الفضفاض سمع صوت يعتاده واضحًا جليًا يناديه..

فنظر حوله ولم يجد أحدًا... فتجاهل الصوت وقال لنفسه: لعلها زوجته تناديه من الداخل والتبس عليه صوتها المتداخل مع صوت الراديو.

أشعل سيجارة وقال لنفسه:

- أما أقوم أعمل لنفسي كوباية شاي حبر علشان أفوق

فسمعها جلية واضحة هذه المرة لا مراء فيها، بل إنه تأكد من اتجاه الصوت حيث كان من الأعلى، وبالتحديد من نافذة شقة رامي وشهيرة.

رفع البواب رأسه فورا ودون تردد إلى الأعلى ليجد رامي خلف زجاج النافذة ينظر له، ووجهه يكتسي بعلامات الحزن ولكنه لا يتكلم.

فناداه البواب ناظرًا للأعلى بصوت عال:

- رامي بيه...يا أستاذ رامي... أنت بخير يا باشمهندس..إحنا عندور عليك.. أنت جيت ميتا؟!..ودخلت كيف؟!...أطلعلك يا بيه؟!!

كان ما يقوله (عم صابر) مجرد سؤال نطقه ولا يجرؤ على تنفيذه..ورغم أنه لم يدر عن الحادث إلا من خلال صرخات شهيرة، إلا أن شيئًا ما دفعه للثبات والتسمر في مكانه، حتى قالها متمتمًا بينه وبين نفسه:

أنا مالي...خليني قاعد هنا..وبكرة أبقى أقول لهم إنه فوق في شقته...والصباح رباح...كده بقى نلم عدة السهر ونخش ننام عدل

أغلق (عم صابر) باب العمارة بالمفتاح.. ودخل غرفته، واستلقى على فراشه، باحثًا عن النوم متأملا في صباح لا يزال بعيدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أعمل إيه دلوقت... العربية كده ممكن يتسرق منها حاجات كتير لو سيبتها ومشيت... معقول هاروح مشي...ده مفيش حتى تاكسي في الشوارع الهادية دى...لازم أطلع ع الشارع العمومي...يا نهار ابيض...ده الساعة ٣.٣٠...

كلها خواطر جالت في ذهن (خالد بكر) وهو يدخن سيجارة تلو السيجارة وينظر لسيارته المهشمة من الأمام، ويجلس على الرصيف محاولًا تناسي ما حدث وعازمًا أن يعزو ما رأى للإجهاد الذهني والإرهاق..

أى إرهاق هذا الذى يحمل لنا أوزارنا ويجسد أمامنا كوابيسنا الخفية؟!!

«أنا هاروح اتفق مع بتاع الأمن اللى في الكشك ده... أظبطه بقرشين يحرسها لحد بكره الصبح وأروح أنا»..

قالها خالد مستسلما لهذيان النوم وإرهاق السهر، ثم اتجه نحو كشك الأمن وفيه يبدو خلف زجاج الكشك المعتم رجل نائمًا متلفحًا بعمامة على رأسه ووجهه..

اقترب خالد من الرجل تمامًا وقال وهو يربت على كتفه: ياريس..عمنا... يا باشا

وببطء شديد يليق برجل نائم يرفع حارس الأمن يده ليزيح العمامة، فيفعل وليته لم يفعل..

حيث يندفع خالد بكر للوراء فيسقط على الأرض وهو يصرخ بهستيريا، وأنفاسه تتعالى وعيناه

تجحظان ليتحقق مما شاهده ولا يزال يشاهده شاخصًا أمامه..

فيحك عينيه ليذهب عنه ما يظنه هذياً، لكن دون جدوى، الحارس ينهض من مقعده ويخرج من الكشك ويواصل التقدم وقد رفع العمامة عن جسد كامل بلا رأس!!

يزحف خالد على بطنه حيث لا تحملاه قدماه، ولا ينقذه سوى سيارة وحيدة حملها القدر لتمر من الشارع وتكبح فراملها كي لا تدهسه.

«الحقوني...والنبي الحقني...أبوس إيدك»...قالها خالد لقائد السيارة ببكاء هستيري، ففتح صاحب السيارة الباب وخرج ليساعده، ويحمله عن الأرض، وقد تبللت ملابسه تمامًا..

- إيه ده...مالك يا أخينا فيك إيه؟...وإيه اللى مدهولك كده؟!

- مشيني من هنا... والنبي... والنبي وهاحكيلك في الطريق

- طب قولي بس في إيه؟

يلتفت خالد حوله فلا يجد رجل الأمن إلا نائمًا في الكشك..

- أأأنااا..أأأنااا عملت حادثة...ودى عربيتي وزى ما أنت شايف متكسرة...وعرفت أخرج منها بالعافية.

- طب تعالى..اركب...اركب...اتفضل...على مهلك..أنا هاروحك ما تقلقش خالص...

- بس أنا خايف أسيب العربية كده!!

- ياعم ما تقلقش ده النهار طلع أصلا...كلها ساعة والبوابين هيصحوا..وتبقى أمان..وبعدين فيه بتاع أمن هنا أهو ممك...

- لااااااااا.... لاااااا...سيبه نايم سيبه

- إيه ياعم فيه إيه خضتني... حاضر حاضر...إهدى بس

- أرجوك سيبه...سيبه

- ماشي خلاص براحتك...أوصلك لبيتك طيب!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سقف غرفة المستشفى والتلفزيون المعلق على الحائط...كان أول ما رأت (شهيرة) وهي تحاول الاستفاقة، واستجماع ما ألم بها، وربط الماضي بما تراه الآن..

لكنها وحيدة في الغرفة، ولا تجد وهي تتلفت يمينًا ويسارًا من يجيبها عن سؤالها المنطقى: أنا فين؟!

- أنا فيييييين....أنا فيييين..إييه اللي جابني هنا؟!!!

قالتها بصوت مجهد متهدج ولسان ثقيل، ومع تكرارها بصوت أعلى كانت الممرضة النبطشية أمامها تجيبها على سؤالها:

- صباح الخير يا مدام

- أنت مين..هو إحنا في مستشفى؟!!!

- أيوه... بس حضرتك استريحي خالص وما تحاوليش تتعبي نفسك

- أنا إيه اللي جابني هنا

- جيران حضرتك... بس ثواني.. وإديني دراعك علشان أقيس الضغط؟!

تترك لها ذراعها في استسلام...ثم فجأة تنتفض وتسحب ذراعها من الممرضة في ذعر وتتنفس بسرعة، وتتكمش في السرير

- رااااااامممي رااااممي...

- إهدى يا مدام شهيرة أرجوكي... بتشدى نفسك كده ليه؟!... أرجوكي اثبتي مكانك علشان (الكانيولا) هتتخلع من إيدك كده!!!

تحاول الممرضة تهدئتها ولكن دون جدوى... حيث تتعالى صرخاتها وهي تردد رامي...رامي... وتنفجر في صرخات هستيرية

تندفع الممرضة للخارج لتنادى من يساعدها في الإمساك بشهيرة وإعطائها حقنة مهدئة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كصباح كل الأطباء يرن هاتف الدكتور (مريد) أكثر من مرة، وهو لا يبالي به، ولا يستيقظ عليه.. ثم يعاود الرن فيجد نفسه مضطرًا ليفتح عينيه ويبدأ في التحسيس على الهاتف بيده فيمسكه ويتفحص من الطالب.

ينهض منتفضًا بعد أن يدرك أنه رقم زميله د.حسام الطبيب النبطشي.

- أيوه يا حسام

- دكتور مريد.. معلش يا ريت تبدر عن معادك ساعة...

- ليه.. فيه إيه؟!

- أصل حضرتك اللي استلمت الحالة دى..وأنت اللى عارف تفاصيل عنها

- طب وإيه علاقة ده بإني أبدر ساعة؟!

- بص... الست دى عمالة تقول كلام غريب...طبعًا أنا إديتها حقنة مهدئة لأنها ما بطلتش صريخ من ساعة ما صحيت...

- كلام غريب إزاى يعني؟!

- ما أعرفش... هو مين (رامي) ده؟!... دى ما بتقولش كلمة غير رامي وتشاور ع الشباك..وكلام تاني غريب لما تيجي تبقى تسمعه منها

- رامي ده جوزها... طيب طيب...أنا هالبس علطول وأجيلك

قبل أن يقوم مريد من سريره اتصل بالأستاذ عادل ومدام سميحة وأبلغهم بحالة جارتهم معتذرًا لهما أنه مضطر للتعامل معهما على أنهما المسئولان الوحيدان أمامه عن هذه الحالة.

قام د.مريد من فراشه متوجها إلى الحمام.. وبشكل آلي وروتيني كان تحت رشاش (الدش) يحصل على الخطوة الأولى في الاستفاقة، لتعقبها الخطوتين التاليتين وبعدها يكون قد استيقظ تمامًا... وهما قدح القهوة (البلاك) متداخلة مع أنفاس السيجارة

ولكن يبدو أن جميع الأمور لا تسير وفق طبيعتها ومساراتها المعتادة، فثمة مسارات جديدة تفرض نفسها على الأحداث.

وضع مريد قدمه الأولى خارج (البانيو) منتهياً من حمامه، ليصعقه ما رأى على المرآة، حيث وجد بخط عبثي غير واضح وحروف متباعدة كلمة واحدة مكتوبة على بخار الماء وهى (المحاجر)..

تسمر (مريد) في مكانه.. وابتع ريقه..ثم اقترب ووضع أطراف أصابعه على الكلمة ثم مسحها وهو في قمة حيرته.. فخرج على الفور متجها لبار المطبخ وقد قرر أن يتجاهل الأمر ويبحث عن أسباب منطقية...فلعلها مساحات صغيرة جافة على المرآة حالت دون طغيان بخار الماء عليها...وإلا فما هذا؟!...ولماذا المحاجر؟!

ومع رشفات القهوة وأنفاس السيجارة، عصر التفكير ذهن (مريد)، الذي لا زال يفصل بين ما حدث في حمامه وبين تلك الحالة الصعبة التي تنتظره في المستشفى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(3)

كل الجبهات لا تنعم بالهدوء الآن.. ولم يفلح سطوع الشمس في كبح جماح طوفان الألغاز والغرائب الذى يحدث منذ أمس.. فقبل أن يضغط (عم صابر) بواب العمارة على جرس شقة (رامي وشهيرة) منتظرًا أن يفتح له (رامي)، كان الباب قد انفتح سنتيمترًا واحدًا مما يوحي بأنه كان مفتوحًا من قبل

- إيه ده؟!!... يا نهار مش فايت...هو الراجل ده جراله إيه؟...نايم وناسي الباب مفتوح...

دخل (عم صابر) بحذر وترقب خطوتين داخل البيت وبدأ ينادى بصوت عال:

- يا أستاذ رامي...أستاذ رامي... هو ما بيردش ليه.. لساته نايم؟!..طب أسك الباب وأنزل أنا؟!

ومع التفاتته نحو الباب حدث المشهد الكلاسيكي المتوقع في كل أفلام الرعب ويحفظه الجمهور عن ظهر قلب..حيث أغلق الباب وحده...فمد (صابر) يده ليفتحه فلا ينفتح..فيحاول مرارًا وتكرارًا بعنف وقلق...

- إيه ده...إيه اللي حصل...

وظل يحاول لثوان ثم توقف عن المحاولة، لمجرد أن شعر بشيء ما خلفه.. بل ملاصقًا له.. فجحظت عيناه حينما تذكر بقية المشهد الكلاسيكي المرعب، فما يوجد خلفه ليس مطمئنًا على كل حال...فقرر ألا يلتفت؟!...ولكنه التفت!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أنت سمعتي اللي أنا سمعته حالًا

قالها الأستاذ عادل وهو ينتفض من مكانه ويرتجف في يده فنجان الشاي، فردت عليه مدام سميحة:

- ما خدتش بالي أوى من صوت الغسالة، بس كأنه حد بيزعق

- أيوه...لأ ده حد بيصرخ...هي إيه الدوشة اللي تحت دى.. افتحي الشباك كده ليكون في حادثة ولا خناقة في الشارع

امتلأت ملامح الأستاذ عادل ومدام سميحة بالاستغراب والخوف، وهما يشاهدان الناس في الشارع وقد تجمعا وتكدسا حول جثة (عم صابر) مهشم الرأس وغارقًا في دمائه... فنزل الأستاذ عادل مسرعا ووقف يتأمل جثته بمزيج من الحزن والخوف وهو يستمع لعبارات الشهود: (ده كان في البلكونة ووقع قصادى)... (يا عم لأ ده واقع م الشباك ده)...(طب هو إيه اللي طلعه فوق)

لم يغب عن بال الأستاذ عادل وهو يدقق في جثة (صابر): كيف تحول شعره الداكن للون الأبيض بين ليلة وضحاها؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في كوريدور المستشفى يسير (د.مريد) وبجانبه (د.حسام) بخطوة سريعة يتحدثان عن حالة

شهيرة

- مش عارف يا دكتور..شكلها مش مجرد انهيار عصبي.. الست فيه قصور ذهني عندها..ومشاكل في الوعي والذاكرة

- خد بالك يا حسام إن جيرانها اللي جابوها لحد هنا وقالوا إنها ما كانتش بتشتكي من حاجة إطلاقا...وأنها عادية وطبيعية وزى الفل...عمومًا أدينا داخلين لها أهو وهانشوف

يدخل مريد وحسام على (شهيرة) وهي جالسة على كرسي امام الشباك في شرود ذهني عميق، وبجانبها الممرضة وكأنها تحرسها، وكل ملامحها ترسم معني التشتت..خصلات شعرها الأبيض المبعثرة، عيناها المنكسرتان، يداها اللتان ترتجفان، جلوسها في وضع القرفصاء على الكرسي

- إزيك يا مدام شهيرة

بابتسامة عريضة قالها (مريد) متوقعًا ألا ترد عليه

- عاملة إيه دلوقتي... ممكن تبصيلي علشان عايز أقولك حاجة مهمة... إحنا بإذن الله عايزين نطمن عليكي علشان نخرج بسرعة من هنا... فلازم نتكلم واسمع منك مالك...ومتضايقة من إيه؟... مدام شهيرة من فضلك بصيلي.. لازم تعرفي إن الكل قلقانين عليكي والأستاذ رامي هيتجنن نفسه يشوفك وأنا اللي مانعه

على الفور بدأت رأس (شهيرة) تتحرك ببطء ناظرة نحو (مريد) فور سماعها اسم (رامي)، وبدأت عيناها تتحدث ويداها تزداد ارتجافًا..وبدأ (مريد) ينتبه لذلك...فأمسك يديها بكلتا يديه، وأمعن التركيز في عينيها بحدة وصرامة وقال لها:

- مدام شهيرة... فوقي من فضلك.. لازم تتكلمي معايا علشان لو فيه مشكلة نحلها... هى آخر حقنة خدتها أمتى؟!

أجابته الممرضة: من ساعة ونص كده يا دكتور

طب سيبونا لوحدنا من فضلكم، ولو معاك رقم الراجل اللي جه سأل عليها امبارح كلمة فورًا يا حسام، أهل المريض دايما هما أول خيط في فهم حالته، هو مش بيقول قريبها كلمة وخليه يجي عايز أقابله...

- تمام...بس يارب ألاقي الكارت بتاعه على مكتبي ما أكونش رميته

بدأ انتباه (شهيرة) للحديث يزداد، ولاحظ (مريد) التفاتها لحواره مع (حسام) عن ذلك الرجل الذى سأل عنها

- إحنا دلوقتي لوحدينا يا مدام شهيرة...علشان تبقى براحتك وأنت بتحكيلي.. إيه اللي حصل..عايز أعرف منك يوميها شفتي إيه؟... وإيه اللي زعلك...أنت عارفة مدام سميحة جارتكو؟!

تهز رأسها ببطء ب. (نعم)

- هايل جدًا...الست الطيبة دى هي اللي جابتك هنا وأنت في حالة إغماء كامل.. وبتقول إنك ست طبيعية وجميلة وزي الفل... فأكيد سمعتي مثلا خبر مش كويس... ها؟!... هاسيبك تحكي

أنت بقى

تنظر له نظرة تحد، وتقول في هدوء:

- أنت قابلت رامي؟!

بأسرع مما توقعت أجاب (د.مريد):

- طبعًا.. أمال أنا باقولك إيه م الصبح..ده حتى كان عا..

تقاطعه بحدة:

- أنت كداب.

يمصمص شفتيه ويهز رأسه، ثم يتنهد ويفتح الشباك ويشعل سيجارة في هدوء.. وينفث دخانها خارج الغرفة، ثم يلتفت لها فجأة ويباغتها بالسؤال:

- طب إيه اللى خلاكي متأكدة إني باكدب عليكي؟!

يمتلئ وجهها بالحسرة والحزن، وتضع يديها على رأسها خوفًا وذعرًا، وتتلفت يمينًا ويسارًا.. ثم تهمس:

- أنا خايفة... أنا خايفة أوى... أنا مش فاهمة حاجة!!

- ما جاوبتنيش يا مدام شهيرة

- مش عارفة...

- مش عارفة إيه؟

- مش عارفة إذا كان عايش ولا ميت؟!

- طب من فضلك وضحي أكتر...عايزك تطمنيلي وتتكلمي يا مدام شهيرة..وأنا بأوعدك إني هاساعدك... إيه اللى أنت خايفة منه؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رياح الغضب لا تمهل ولا تذر..ولا تمنح فرصًا بعد أن انطلقت مندفعة في مساراتها السوداء.. عندئذ تتلاحق الكوارث.. وتتسارع الخسائر كأمواج متتابعة.

دخلت الممرضة غرفة الطبيب النبطشي، لتجد الدكتور حسام واضعًا رأسه بين يديه، ناظرًا للمكتب أمامه وفي منتهى الحيرة.

- دكتور حسام...مالك؟!

- ها... مفيش..ما اعرفش.. فيه حاجات غريبة بتحصل..أنت فاكرة الشاب اللي جالنا هنا امبارح بالليل وكان بيتخانق معانا ومصر يقابل (شهيرة)

- شهيرة مين؟

- الحالة اللي في أودة (١٠) يا منى ما تصحي معايا

- آآآه..أيوه أيوه افتكرته

- الراجل ده انتحر..ولاقوه مرمي في المنور

- يا نهاار اسود...إيه الغم ده... هي الست دى ملطشة معاها كده ليه؟

- عايزة تعرفي الأغرب؟!

- إيه تاني؟!

- عارفة بواب عمارتها؟

- آه

- انتحر ورمى نفسه من الدور العاشر!!

- نعم؟!!.. إيه يا دكتور اللي بتقوله ده...طب وأنت عرفت ده كله منين؟!

- باطلب الرقم اللي سابهولي خالد بكر ده..ابن خالتها ولا قريبها...الأول فضل يرن ما حدش يرد...وبعدين رد عليا واحد بيقول إنه من نيابة مصر الجديدة وإن الموبايل ده كان واقع في شقة القتيل وإنهم بيحققوا في القصة... وقعد يسألني أعرفه ولا لأ

- طب والبواب؟!...أنا مش مصدقة اللى بتقوله... أنت بتحكي فيلم؟!

- البواب... جيران الست شهيرة اللي لسه خارجين قدامك دلوقت كانوا جايين علشان (مريد) كان عايز يقعد معاهم، فحكولي اللي حصل...

ينهض حسام فجأة قائلاً: لا لا لا كفاية كده أوى...أنا مطبق من امبارح..أنا مروح لأن اليوم غريب وكئيب ومش طبيعي...وأنا هاموت وأنام

- ماشي يا دكتور.. ابقى طمنا عليك أما توصل..أنت هتسوق؟!

- لا لا ما باجيش بيها يوم النبطشية...يالا سلام

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت صرخات (شهيرة) تتعالى قبل أن يمد الأستاذ عادل يده ليطرق باب غرفتها باحثا عن الدكتور (مريد)، فتراجع للوراء ومعه مدام سميحة وخافا من الدخول.

ثم استجمعت مدام سميحة شجاعتها وبدافع الخوف على شهيرة فتحت الباب واقتحمت الغرفة فورًا فوجدا شهيرة منهارة تمامًا وقابعة في ركن الغرفة والدكتور مريد واقفا أمامها، فالتفت إليهم وقال لهم بحدة:

- أهلا يا أستاذ عادل... معلش من فضلكم اتفضلوا دلوقتي..استنوني في أوضتي..خلي التمريض يعرفكوا مكانها واقفلوا الباب لو سمحتم.

فخرجا على الفور ليتركا الدكتور مريد مع مريضته، وذهبا لغرفته في الطابق الأدنى في صحبة الممرضة، فدخلا بعد أن فتحت لهما الممرضة الغرفة

جلسا فى إرهاق على كرسيين أمام المكتب والخوف والقلق يملؤهما على جارتهما.

وفي ثوان معدودة...تفاقم هذا القلق.. وتحول لذعر حينما سمعا صوت الدكتور (مريد) خارجًا من حمام الغرفة وهو ينشف يده قائلًا:

- أهلا يا أستاذ عادل..إزيك يا مدام سميحة

وفي رد فعل طبيعي قام الرجل واحتضن زوجته وسحبها نحو الجدار، وهو يشير لـ (مريد) بعدم الاقتراب ولا يقوى على النطق.

- أستاذ عادل!!... فيه إيه يا جماعة مالكم!!... العمارة دى ملبوسة ولا إحنا وقعنا في مثلث برمودا النهارده...ولا حكايتكم إيه؟!

- أنت مين؟!

- يا دى النيلة...أنا مين إيه؟...أنا الدكتور مريد

- لأ... الدكتور مع مدام شهيرة في أوضتها...ولسه جايين من عنده حالا!!

وقبل أن يرد مريد كانت صرخة السقوط من أعلى تدوى بها شهيرة، فانطلق الجميع نحو غرفتها، وعندما فتحوا الباب لم يجدوها اندفع (مريد) فورًا نحو النافذة ليجد ما توقعه، فعذابات (شهيرة) استقرت واختارت نهاية للحيرة، وها هي ترقد جثة محطمة على الأرض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان يومًا عصيبًا ومرهقًا على (وكيل نيابة مصر الجديدة) وهو يحقق في ٣ حوادث انتحار بنفس الطريقة في يوم واحد وخلال ساعات، وذلك بعد أن ربط بين جميع الخيوط وتوقيتاتها، واستدعى الجميع لسماع أقوالهم.

ومن خلال المحاضر وأقوال الشهود توصلت النيابة إلى قرار غريب لكنه حتمي، حيث قيدت الحوادث الـ٣ باعتبارها انتحارًا، ولم تعتبر غياب المدعو (رامي السيد نبيه) أمر يستدعي للدهشة إلا بعد مرور ٣ سنوات على تغيبه.

أغلق وكيل نيابة مصر الجديدة ملف القضية، وأنهى بذلك التحقيقات التي دامت أسبوعين كاملين ولكن حيرته وخوفه لم تنته بعد، ولم يجد لحل هذه الألغاز المفتوحة مخرجًا منطقيا رغم وجود المخرج القانوني لها.

ولأن حيرة وكيل النيابة كان مصدرها حكايات الشهود الذين حكوا مالا يصدقه عقل أو تعيه أذن واعية، فلم ير شيئًا بعيني رأسه،لذلك تمكن من النسيان ولم يقف عند هذه الغرابة المفرطة وذلك الخوف الاستثنائي.

أما أولئك التعساء الذين طالتهم دائرة الخوف وعلقوا في شباكها ولافكاك، فهم الذين شاهدوا ورأوا ما يفوق المنطق ويتجاوز المعقول، فوقعوا أسرى الشك وصرعى التشتت والالتباس، وذاب أمامهم ذلك الحاجز الفطري بين الغيب والمشهود، بين الطبيعي وما فوق الطبيعي.

هكذا حكمت الحياة على (مريد عز الدين) المعالج النفسي ذائع الصيت، والأستاذ عادل ومدام سميحة جيران الشقة الملعونة بأن يغادروا عالم البراءة والأمان... ويقفوا على حافة الفهم، فلا هم عرفوا ولا هم بقوا على دفء ضلالهم القديم.

لكن ثمة ضحية رابعة... ورغم أنها لم تر ما رأوه ولم تسمع ما سمعوه من مشاهد عبثية، إلا أن القدر اختارها لتكون أول من يفهم، وأول من يطلع على مكنونات الجحيم وطيات الظلام.

إنه (حمزة التاجي)..الشاب ذو الثلاثين ربيعًا، ابن الأستاذ عادل ومدام سميحة، الذى يعشق القراءة والاطلاع وبالأخص في (الباراسيكولوجي) وعلم النفس الموازي وعلم الخارقية، لدرجة أنه يترجم منذ سن مبكرة دراسات أجنبية حول حدوث حالات إدراك عقلي أو تأثيرات على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها أو اتصال بها عن طريق وسيلة معروفة ومتعارف عليها فيزيائيًا ومنطقيًا.

يعشق حمزة اللغة الألمانية ويتقنها كالعربية وذلك قبل أن يتم دراسته في معهد (جوتة) حتى أن معظم أصدقائه من الباحثين الألمان يراسلهم ويبادلهم الحديث كل يوم

يعرف (حمزة التاجي) كيف يعيش حياته، راضيًا بغموضها وكآبتها رغم ما يواجهه من هجوم زملائه في العمل وازدرائهم لاهتماماته العجيبة.

ورغم أنه وحيد والديه إلا أنه لا يعاني الوحدة مطلقًا، بل يزدحم يومه بعشرات الأفكار الجديدة والقرارات الغريبة التي تجعله في شجار دائم معهما، وفي تحد لا ينتهي مع نفسه.

ولأمثال (حمزة) فقط تحكي المسارات السوداء عن أسرارها الموحشة وعوالمها المظلمة، وبوابتها العتيقة (ن)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في زاوية من البلكونة، جلس (د.مريد) مرتديا ببيجامته، سيجارته لا تنطفئ، مشعلًا واحدة تلو الأخرى، وعيناه مجهدتان من قلة النوم والتفكير، فقد ندهته - وهو من هو في الطب النفسي - نداهة الألغاز، واصطادته شباك (الخرافة) مصطدمة بعقليته العلمية البحتة.

كانت زوجته ترمقه من بعيد وهي تضع لأولادها فطورهما في حقائبهما المدرسية، وتقبلهما لكي يلحقا بباص المدرسة الذى بدأ يضرب (كلاكسات) الاستعجال المعتادة.

وبمجرد أن أغلقت الباب وراء أولادها ذهبت نحو زوجها فورًا، ووضعت كفها على وجهه إشفاقًا عليه

- حبيبي.. ينفع اللي أنت عامله في نفسك ده... ده تاني يوم ما تنامش كويس..ولا اتعشيت معانا امبارح ونازل شرب سجاير وقهوة...طب إيه اللي حصل لده كله...ده أنت عمرك ما عملت كده..وإوعى تقولي الحكاية إياها دى... أنت دكتور نفساني...يعني عدى عليك كتير وشفت كتير

مريد ينفث دخان سيجارته، دون أن ينظر لها

- حرام عليك اللي بتعمله في نفسك ده.. ما تفوق يا مريد..أنت عندك ولاد

يتواصل شروده وكأن أحدًا لا يتحدث

- ماشي... براحتك... بس ابقى افتح موبايلك ع الأقل يمكن فيه مصيبة!!!

تحركت حدقة عيناه بعد هذه الكلمة، وكأنه تذكر مكالمة هامة كان ينوي أن يقوم بها، فنهض على الفور وأحضر الموبايل من غرفة نومه وفتحه ثم طفق يبحث عن كارت وكيل النيابة الذى

حقق في الحوادث الثلاثة حتى وجده، وفورًا شرع في الاتصال وسط دهشة زوجته

- ألو.. شهاب بيه؟

- أيوه مين معايا؟

- مع حضرتك مريد عز الدين.. إخصائي أمرا..

- أهلًا أهلًا يا دكتور..إزى سعادتك

- الحمد لله.. كله تمام.. إيه أخبار القضية مفيش جديد عند سيادتك

- أبدًا... زى ما حضرتك عارف المحاضر اتقفلت على كده، وجوز الست اللي انتحرت دى لسه ما ظهرش ولا فيه جديد عنه، وفيه ٢ من قرايبه بنتابع معاهم يمكن يظهر ولا تبان أى تطورات...إيه أنت فيه جديد عندك يخص القضية؟!

- لا إطلاقًا...طب سيادتك فاكر لما قلتلي إن قريبها الشاب اللي انتحر ده بيشتغل في حتة كده ليها علاقة بالرمل أو الطوب أو حاجة زى كده

- آآه...تقريبا على ما أتذكر عنده مصنع للطوب الرملي بتاعه

- أيواااا..مظبوط يا فندم..صح حضرتك قلتلي كده فعلا

- إنما اشمعنى يعني... دى معلومة عادية جدًا... فيه حاجة في دماغك يا دكتور.. خلينا نفكر سوا

- لا والله مش فكرة حاجة في دماغي... ده أنا بس من ساعتها مستغرب من اللي حصل ومش لاقي له تفسير، وحكاية الانتحار رغم إنها واردة عند أى مريض باكتئاب ذهاني زى الست دى لكن برضه كانت صدفة غريبة إن قريبها والبواب كمان يموتوا بنفس الطريقة

- آه طبعًا...ما إحنا ساعتها قلنا كده...بس مش عارف ليه حاسس إن حضرتك بتدور على حاجة تانية...

- لا والله لا تانية ولا تالتة...أنا باحب أسجل الوقائع اللي زى دى علشان بتفيدنا في أبحاث علم النفس الجنائي

- هههههههه عموما يا دكتور أهى فرصة كويسة إن سمعنا صوتك واطمنا عليك..ولو فيه جديد هاتصل بيك علطول

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

مع دقات الواحدة بعد منتصف الليل كان (حمزة) نائمًا في غرفته المبعثرة معانقًا كعادته كتابًا ما، سقط منه قبل استغراقه في النوم، ثم فجأة ودون مقدمات اخترق هذا السكون ما أيقظه على الفور.

وللحظة بدت ملامح وجه (حمزة) تتمنى ألا يكون ما سمعه حقيقة، أو أن يكون النزق الأخير من الحلم قبل دخوله عالم اليقظة... لكنه تجاهل الأمر وتظاهر بعدم الاكتراث وأغمض عينيه ثانية لينام، فكانت الثانية، حتى تأكد من مخاوفه حينما سمع نداء جليًا من أعماق الوسادة قائلًا بوضوح لكن بصوت هامس وخاطف: (حمزة)

هنا..لا مناص من النهوض والفرار من الفراش.. فانتفض من مكانه ناظرًا للوسادة بفزع وصوت أنفاسه المتلاحقة لا يليق إلا بعداء!!

- إيه اللي أنا سمعته ده... مش ممكن.. الله يخرب بيت الكتب اللى هتجيب داغي دى!!

فرك عينيه ووجهه عله يستفيق، ثم تناول نظارته ونهض نحو (اللاب توب) وفتحه وهو يتصبب عرقا، جاحظ العينين، يبتلع ريقه الجاف..

أخيرًا فتح (اللاب توب)، وبدأ (حمزة) يبحث عن مزيد من القراءات والمواقع التي يمكنها أن تجد تفسيرًا لما رأى.

مرت الساعة تلو الأخرى، وبدأت خيوط الشمس تدخل غرفته اللاهوتية المظلمة رغم أنف الستائر الموصدة.

ولا يزال البحث متواصلًا والقراءة متوالية، حتى بدأت علامات الملل واليأس تظهر على وجه (حمزة) الذى رفع وجهه نحو سقف الغرفة يائسًا.

ثم ما لبث أن نهض من مكانه وارتدى ملابسه سريعًا وخرج من غرفته ليجد أمه في الصالة يبدو عليها الإجهاد والسهر، وهى نائمة في وضع الجلوس على الأريكة ورأسها تترنح من شدة النعاس

- ماما!!....ماما!!

استيقظت فورا من ندهته الهامسة..

- أيوة يا حبيبي صباح الخير...

- صباح النور..إنت كنت صاحية أصلًا ولا ما نتميش؟!

- والله يا حبيبي كنت نايمة وقمت مفزوعة...استغفر الله العظيم جالي كابوس فزعني ومن ساعتها مش عارفة أرجع السرير... وأبوك في سابع نومة ونازل شخير ما بطلش... أعمل لك حاجة تاكلها يا حبيبي؟!

تملك الصمت والذهول حمزة مما تحكيه أمه وشرد للحظات ثم أجاب:

- بتقولي كابوس... كابوس إيه يعني؟... حلمتي بإيه؟

- ما تفكرنيش يا بني...أنا عايزة أنسى ومش عارفة أصلًا اللى حسيته ده وأنا صاحية، ولا وأنا نايمة

- طب احكيلي طيب

- مفيش زي ما أكون سامعة حد بيناديني باسمي!!

جحظت عينا حمزة وبدأت أنفاسه في التسارع، وهو يستمع لكلمات أمه ثم وقف فجأة وطمأنها بكلمات كلاسيكية معتادة في مثل هذه المواقف ثم خرج مسرعًا

ارتابت الأم من إحساسها الصادق بابنها بأنه ليس على ما يرام..وأن ثمة ما يقلقه مهما أضمر ذلك، فسندت رأسها على ظهر الأريكة في محاولة لاستدعاء الراحة وتنهدت ثم حدثت نفسها بصوت هادئ:

- ربنا يستر... من ساعة اللى حصل والبيت ده مابقاش طبيعي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(نزار غنيم) صحفي أربعيني في قمة رسوخه ونضجه، يحتاج أى إنسان في الحياة لصداقته، أو أن يكون اسمًا ثابتًا في أجندة معارفه، وليس هذا لمجرد أنه يعيش بروح متصوفة، ويتنفس العشق الإلهي بل لأن لديه صورة كاملة مكتملة عن الحياة ويحظى بنسب فهم عالية ومستقرة لأزماتها ومشاكلها، فضلا عن تمتعه بقدرات خاصة في الرياضة الروحية وتمارين التحكم النفسي والذهني ساعده على ذلك تسلحه بالروحانيات وتعلقه بقوة الدين في صناعة الأمان وخلق مناخ للرضا والهدوء.

نزار يرى أن زيارة أولياء الله الصالحين واجبًا مقدسًا لا ينبغى التقصير فيه، ويعتبرهم سياج الأمان الذى يحمي ويظلل من لاذ بهم في مواجهة مصاعب الحياة ومخاوفها وما يستجد كل يوم من أمراض عقلية ونفسية قد تفتك بأى إنسان لا يلوذ بالله ولا يلجأ له مكتفيًا بنظريات وأبحاث علم النفس.

وفوق كل ذلك فنزار هو صديق ورفيق المقهى الأول بالنسبة لحمزة التاجي الذى فزع إليه فور ما حدث له، فاتجه إليه رأسًا وكان أول من طرق باب بيته في هذا اليوم بعد شروق شمسه بدقائق.

فتح نزار الباب مندهشًا لصاحبه وبادره فورًا بالسؤال البديهي:

- خير يا حمزة... فيه إيه يابني.. مالك حصل حاجة؟!... أمك وأبوك بخير؟!

- ياعم مفيش حاجة.. قلتلك في التليفون مفيش حاجة...اطمن

- اطمن!!... اخلص يا عم واحكي فيه إيه

- بص... أنا حصل لي حاجة غريبة جدا...ولولا إني متأكد إن أعراض الفصام بيبقى ليها مقدمات وبتظهر في سن مبكرة، لكنت قلت جالي فصام

- الله يخرب بيت الكتب اللي كلت دماغك ولحست مخك... ما طبعًا لازم يجيلك الفصام...ده الفصام هو اللي يجيله حمزة...خير حصل إيه؟

- بتهزر؟!...طب اسمع...عارف لما في أفلام السينما حد يقعد يحكي لحد على حاجات شافها

وسمعها لوحده وماحدش يصدقه...أهو اللي حصل لي شبه كده...لحد ما قابلت أمى وسمعت منها اللى حصل لها في نفس التوقيت اللى حصلت لي فيه الحاجة دى...فاطمنت شوية بعدين دماغي لفت تاني... إزاى يحصل لي كده؟!

- المفروض إنى أفهم بقى الألغاز دى وأنا لسه قايم م النوم؟!!

استرسل حمزة في وصف ما حدث له بالتفصيل وأقسم أنه كان في حالة اليقظة تماما وقت الندهة الثانية، وقبل أن ينتهى من كلامه كان نزار قد استفاق تمامًا واتسعت عيناه في جدية وتركيز شديدين

- ها؟!....شايف إيه بقى يا عم الشيخ؟....افتي لي يا بتاع الدين والدنيا... نزار أنا بجد مرعوب... أنا اللي ما بابطلش قراية في الحاجات دى مش قادر أحط تفسير علمي واحد للى حصل ده!!..واربط كل ده بقى باللي حصل لأبويا وأمي من شهر وحكيتلك عليه، ومن فضلك أوعى تقعد تقول لي أنت صليت العشا قبل ما تنام... طب كنت نايم متوضي؟!.. طب مش يمكن ده صوت حد بينده م الشارع والحاجات دى...ولو هتفسرها كده عرفني علشان أنزل من دلوقتي....

صمت نزار برهة.. وأخذ نفسا عميقًا ثم قام من مكانه واتجه بخطوات واثقة نحو بار المطبخ وضغط على زر الغلاية، ثم أخرج كوبين وقال بصوت واثق:

- نفوق الأول ونظبط دماغنا كده علشان نعرف نتكلم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قام الأستاذ عادل من على مائدة الطعام في عصبية شديدة، تاركًا إفطاره وموجها كلامه لزوجته:

- يعني إيه تسيبيه ينزل الساعة خمسة الصبح وما تسأليهوش أنت رايح فين؟...أنا مش قادر أصدقك؟... أنت مش خايفة ع الواد ده...ما سألتيش نفسك حتى ممكن يبقى رايح فين في ساعة زى دى؟

- جرى إيه يا عادل...بتزعق كده ليه...قلتلك طلبته ع الموبايل وقال لي إنه هيعدى على واحد صاحبه وينزلوا يتمشوا في الهوا شوية.. وبصراحة ساعتها كنت مش طايقة نفسي ولا قادرة أفكر في حاجة؟

- ليه إن شاء الله

- طبعا ما أنت بتترمي زى القتيل ما بتدراش بأى حاجة حواليك، مع إني صحيتك كذا مرة وقلتلك إنى خايفة ومرعوبة.

- اسمعي يا سميحة... أنت عارفة وأنا عارف إن الجو مش طبيعي...وإن اللي حصل في شقة الأستاذ رامي وفي المستشفى حاجة تجنن...بس خلاص هنعمل إيه...مش هنعيش بعد اللي شفناه؟!... نروح ندفن نفسنا؟!... أنا وعدتك إننا هنعزل من هنا في ظرف شهر ولا اتنين بمجرد ما أظبط شغلي... وارد إن الشقة دى تبقى مسكونة...أو الجو نفسه يجيب اكتئاب بعد ما مدام شهيرة انتحرت...بس نعمل إيه؟... ها...قولي لي... نوقف حياتنا ونضيع الواد اللى حيلتنا؟!

- ماشي يا عادل

يربت على ظهرها في حنان

- ربنا يهديكي ويروق لك الحال... عايزك ما تبطليش قرآن علشان نفسيتك تستريح والواد ده لازم يصلي...مش هينفع كده... ده أوضته عاملة زى القبر

- طب عايزة أسالك سؤال زهقتك منه؟

- عارفه...بس اسألي يا سميحة

- اللى إحنا شفناه في المستشفى ده...أنت كنت قلتلي مرة إنه طبيعي وإن الدكتور مريد ده مش مريحك وشاكك إنه ورا انتحار شهيرة صح؟!

- الله أعلم...أنا مش عايز أظلم... أنا صحيح مش مرتاح له...بس حكاية إنه هو اللى رماها من فوق دى مجرد احتمال.

- شكلك بتقول كده علشان تطمن نفسك...ما أنا عارفاك بتعرف تظبط أمورك وتكبر دماغك

- لا والله... أنا باحسبها إننا نزلنا الدور اللى تحت ع السلم والممرضة معانا ونزلنا على مهلنا لو تفتكري علشان رجلك كانت واجعاكي.. جايز يكون الدكتور مريد سبقنا بالأسانسير ولا حاجة ودخل قبلنا الأوضة.

نظرت له في يأس بعينيها المرهقتين وردت في صوت خافت:

- جايز

- وبعدين انسي بقى...انسي ونعيش حياتنا ونربي ابننا اللي مش عا..

قاطعه جرس الباب، فقام في اتجاهه وهو مرتاب وقلق، ففتحه ليرى المفاجأة التي أفقدته أهم مزاياه (تكبير الدماغ) في أقل من ثانية، ويتخلى عن ثباته المعتاد

- دكتور مريد؟!!

- إزيك يا أستاذ عادل.. أنا باعتذر جدا إني جيت من غير معاد.. وبدري كده... بس الحقيقة... أأأ... أقدر أدردش مع حضرتك شوية؟!

في ذهول وخوف:

- اتفضل...اتفضل طبعًا

وضعت مدام سميحة صينية الشاي أمامهما واتجهت نحو الكرسي للجلوس، فأشار إليها زوجها بعصبية

- اتفضلي أنت بعد إذنك يا سميحة

- أصل أنا كنت عا...

- (بانفعال) اتفضلي يا سميحة!!

فشعر مريد بالخجل ولكنه استجمع جرأته وقال:

- من فضل حضرتك يا أستاذ عادل... أنا كنت عايز مدام سميحة تشرفنا

- نعم يا اخويا!!

- معلش عارف إني سببت لكم إزعاج كبير دلوقتي، وهاشرح لحضرتك أنا جاي ليه بس إديني فرصة

- اتفضل!!

تنهد مريد تنهيدة طويلة وقال في صوت خائف وكأنه خارج من أعماق الجحيم:

إحنا التلاتة في كارثة يا جماعة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

لم تفلح ساعة كاملة من النقاش السفسطائي بين حمزة ونزار في إقناع كليهما بتفسير مناسب لما حدث ينامون معه قريري العين. وبدا حمزة مضطربًا مستمسكًا بصديقه متلقفًا كل ما يقول عله يجد طوق النجاة.

ولعل تلك المشاعر الحقيقية من قبل حمزة تجسد صداقة وطيدة بدأت منذ عامين رغم فارق السن بينهما الذي يصل ل. ١٠ سنوات، وعلى الرغم من أن حمزة بطبيعته الجدلية المتفلسفة المتمردة كثيرا ما يبدو مناطحا لصديقه معارضًا لوجهة نظره إلا أنه غالبًا ما يلجأ له، بل ويعترف في أحايين أخرى بأنه باعث للأمان ويمتلك لسانًا مريحًا قادرًا على تخفيف الآلام وامتصاص الطاقة السلبية ممن يحدثه، ولهذا السبب تشبث حمزة بصداقة وملازمة نزار غنيم رغم تفاوت واختلاف الأيديولوجيات ومنطلقات التفكير بينهما.

- حمزة... بص أنا مش هاعرف أقنعك...بس كل اللى أقدر أقولهولك.. الحياة عبارة عن كتلة كبيرة من الألغاز...ربنا خلقها كده.. عشرات من الأسئلة المحيرة اللي صعب تلاقي لها إجابات، وممكن تعيش قد ما تعيش وتموت من غير ما تلاقيلها إجابة.. المهم إنك دايما تقف على أرض صلبة، وتكمل حياتك... طب إيه تفسير اللى حصل؟! وحصل ليه؟...مش مهم نعرف إلا إذا كان استمرار حياتنا متوقف على ده

- يعني إيه؟... يعني الناس تساوى بين المنطقى واللامنطقي؟!...المعقول واللي مش معقول... طب إيه لزمة العلم؟!... وقوانين الطبيعة؟!... بلاش.. فين السنن الكونية اللي أنت علطول تقولي إن ربنا ممشيها زى الساعة؟!....أنت عارف معنى كلامك إيه؟!... إن الخرافة تسود وتحكم والعلم يتوارى... ده حتى أفلام الرعب المصرية كمان ما بيحصلش فيها كده...بيطلع ورا اللي بيحصل حاجة أو تفسير علمي...لا لا يا نزار ده مش كلام منطقي أبدًا!!

- يا بني الموضوع مش كده... وما بيتحسبش كده.. هو مين اللى خلق المنطق...ومين اللى شغَل كل السنن الكونية..ومين اللى حط قوانين العلم...مش ربنا... وهو كمان اللى يقدر يعطلها ويوقفها لأسباب في علمه هو... زى النار لما فقدت خاصية الإحراق مع سيدنا إبراهيم والبحر لما اتفتح لسيدنا موسى

- أديك قلتها لانا سيدنا إبراهيم ولا أمى وأبويا سيدنا موسى

- ما أنت سيبني أكمل كلامي الأول... المعجزات وخوارق العادات لا تنقطع.. موجودة وفي أيامنا وحياتنا وحوالينا بس بأمر الله ولأغراض معينة

- طب إيه الغرض من اللى بيحصل ده... وإيه اللى ممكن يحرك قوانين الكون في واحد يختفي وما يظهرش تاني ومراته تنتحر...كل ده عادي وبيحصل...ما انتش فاكر زميلكم الصحفي ده اللى اختفى مرة واحدة ومرجعش تاني؟

- أيوا أيوا....رضا هلال

- بالظبط...يعني مفيش حاجة غريبة تتغير علشانها قوانين الكون؟!

نزار يشير بإصبعه إلى السماء وعلى وجهه ابتسامة قبول وثبات ويرد بهدوء:

- سبحانه...قادر على كل شيء

- عارف يا نزار...ساعات باحسدك على راسك دى...اللى موديك دايما في مناطق تريحك... مهما الدنيا اتقلبت حواليك

- دى رياضة نفسية اتعلمتها طالما سلمت لله... وسميتها النظر إلى المركز.. لما بيجي موضوع محير يشغلني باخد نفس عميق وأبص للسما في نقطة محددة لمدة ربع ساعة كاملة مع نفس منتظم وباسترجع كل معتقداتي في الله بعدها بالاقيني مطمن للقاعدة الكبرى وهى وجود الله فابفسر أى حاجة تانية إنها في ملكوته وهو أدرى بملكوته (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)...

حمزة ينظر له بإعجاب فيواصل نزار الحديث:

- فيه حديث جميل عن النبي عليه الصلاة والسلام يا حمزة بيقول (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) وتقريبا تطبيقه شبه اللى أنا قلتلك عليه دلوقتي ده

حمزة يأخذ نفسًا عميقًا ويغوص داخل كرسيه ويقول بصوت مختنق:

- يا ريتها بالبساطة دى....يا ريتها بالبساطة دى يا عم نزار!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرج حمزة من بيت صديقه غير مقتنع ولكنه بغير الحالة التي أتى عليها، فبدا كأنه تحت تأثير مخدر لطيف أو جرعة مهدئة، ولم يبرح التفكير رأسه طوال طريقه عائداً لبيته وأثناء دخوله من باب العمارة وقعت عيناه على دكة البواب فتذكر أنه كان ضحية لحالة الهلع التي صاحبت هذا الاختفاء الملعون لجاره (رامي)

وقف حمزة لدقائق أمام شقة (رامي) المواجهة لهم، وتسمرت عيناه على بابها ولسان حاله يسأل: ما كل هذه اللعنات التي أتت من وراء هذا الباب؟... وما السر الذى تخفيه هذه الحكاية المبتورة التي انتهت دون أن تلقى بأسرارها وحل ألغازها؟!

وصل حنق وغيظ حمزة مداه بعدما فتح الباب ليجد في غرفة الاستقبال د.مريد وأبواه في حالة وجوم تام.

بادره والده بمحاولة إبعاده عن الجلوس والاستماع لحديثهم معتقدًا أن شيئًا من الشياظا لم ينله بعد، فأشار له بيده في اتجاه الداخل، لكن حمزة لم يعبأ بذلك وأصر على الجلوس لإحساسه أن هناك ما يدعو للقلق خاصة بعدما أحس ذلك من تعبيرات وجه أمه

- سلام عليكم...د. مريد؟!... صح؟!

- مظبوط

أجاب الأستاذ عادل سريعًا:

- حمزة ابني لسه واصل بقى من الشغل... ويدوبك يخش يرتاح علش..

قاطعه حمزة:

- مش هاخش أرتاح يا بابا...ومش هاقوم بعد إذنك يعني... أنا دخلت في اللعبة معاكم خلاص

- د. مريد: لعبة إيه؟!

- حمزة: لعبة الغرائب والطرائف اللى عمالة تحصل لكل أطراف القصة دى...وعايز أعرف حضرتك حاجة.. لو ماتناولناش الموضوع ده بفهم وبشكل علمي ومن خلال بحث وقراية وتعاملنا فيه بصراحة وشفافية مع بعض...القصة هتتفاقم وتوصل لأسوأ من كده

- د.مريد: جميل جدًا... هو ده اللى أنا كنت جاى أكلم والدك ووالدتك علشانه وواضح إنهم عايزين ينسوا القصة بما فيها، ويمشوا في سكة حاجة وعدت...لكن أنا مش حابب كده...يمكن علشان أنا طبيب وده مجالي وفاهمه كويس فقررت إنى أكمل واعرف إيه سر اللي حصل

- حمزة: واللي لسه بيحصل

- د. مريد: بمعنى؟

- حمزة: بمعنى إن فيه شيئًا علميًا موجودًا وحادثًا وحوالينا، توصيفه العلمي إيه ما أعرفش، لكن فيه رسالة عايزة توصلنا لتحقيق هدف معين...وأعتقد ده له علاقة وثيقة باختفاء الأستاذ رامي

نهض الأستاذ عادل فورا من مكانه مشيرًا إلى زوجته في عصبية بالغة:

- يالا يا سميحة...قومي من هنا...د. مريد سامحني مش هاقدر أرحب بيك هنا أكتر من كده... وأنت يا حمزة سيبك م القصة دى خالص ومالكش دعوة بيها نهائي...جرى إيه يا جماعة... نسيب أشغالنا بقى وحياتنا ونقعد نفكر في رسالة وبتاع...ده اسمه فضا ونقصان عقل... ولا أقولكم خليكم...إحنا مش قاعدين معاكم من أصله... يالا يا سميحة!!

جذب الأستاذ عادل زوجته إلى الداخل ولكنه لم يستطع جذبها لعالمه ومذهبه في (تكبير الدماغ) وسرعة النسيان، فدخلت معه وعقلها يطيش في كل اتجاه للبحث عن سر وراء تلك الندهة التي همست لها مرتين بوضوح في مطلع الفجر: سميحة....سميحة

وفي صالون البيت جلس الدكتور مريد وجها لوجه أمام حمزة التاجي وكأنه وجد ضالته المنشودة منذ بدأت دوامة القلق وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث، الذى بدا في أغلبه في اتجاه واحد، حيث يسأل مريد عن أحوال جيرانهم وحمزة يجبه في حدود علمه ومشاهداته

- اسمع يا حمزة...أنا معجب بدماغك وتفكيرك وحبك لدراسة علم النفس وكتر القراية والاطلاع وده هيساعدنا كتير أوى في مهمتنا الجاية

- مهمتنا...مهمة إيه؟

- أنا بافكر نعمل أنا وانت فريق بحثي... لمحاولة فك طلاسم اللي حصل ونحاول نحلله وندرسه كظاهرة علمية...يمكن نوصل لشيء مهم يخدم الناس بشكل عام

- لو حد غيري سمع من حضرتك الكلام ده ممكن يتقلب على ضهره م الضحك... ويتريق كمان...لكن لحسن حظك إنك وقعت مع واحد هيفهمك كويس ويستوعب أنت عايز إيه

مد حمزة يده لمريد لمصافحته على طريقة العهد، فبادره فورًا مريد بالمصافحة وتبادلا ابتسامتين يكسوهما الخوف

- بس بعد إذنك يا دكتور مريد فيه واحد تالت لاغني عنه في بحثنا ده، وشايف إنه ضلع تالت في فهم أى ظواهر ميتافيزيقية

- وماله؟...مين؟

- نص ساعة...مسافة الطريق ونكون عنده

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخلت الباحثة الألمانية البروفوسور (جوليا شتايندورف) غرفتها في الجامعة ومعها بعض طلبتها، وكانت تجيبهم بسرعة شديدة بما يوحى بضيق وقتها وأنهت حديثها باعتذار رقيق وضحكة مصطنعة لكي يتركوها تأخذ قسطا من الراحة.

أغلقت الباب فورا وارتمت على كرسي مكتبها وخلعت حذاءها وتنفست بعمق، ثم نظرت للثلاجة الصغيرة في غرفتها وعلى الفور أخرجت منها عصيرًا مثلجًا، ومع رشفاته لم تستسلم للراحة السلبية بل اعتدلت في جلستها أمام (اللابتوب) وبدأت تفتش عن رسائلها التى لم ترد عليها من زملائها وأقاربها وأصدقائها.

كانت أول رسالة وآخر رسالة من مصر بإمضاء Hamza Adel Altagi، يبعث فيها استغاثة عاجلة بعد التحية والسلام.

بدت على وجه البروفوسورة ملامح السعادة، وتفاعلت معها دون تردد وكان الرد سريعا لم يتأخر:

- حمزة أهلا بك... كيف حالك؟

- بخير.. كيف حالك أنت..وكيف حال محاضراتك وأبحاثك؟

- تسير بشكل جيد..لكن ليس هناك جديد..ما الخطب عندك..كأن لديك مهمًا تقوله؟

- نعم... لدى ما يهم وما يقلق وما يحتاج لجهودك البحثية؟

- ماذا؟!... قل على الفور؟!

يقطع هذا الاسترسال في الحوار إحدى الطالبات التي طرقت الباب بعنف وفتحته على الفور دون انتظار الإذن، مما أثار حفيظة (جوليا) فنهرتها ووبختها على ذلك وطلبت منها الانصراف وعدم محاولة سؤالها في وقت راحتها

- ما هذا؟...كيف تدخلين على هكذا وبهذا الأسلوب؟...ألا تعلمين أني في وقت راحتي ولا أتلق أى أسئلة أو استفسارات...تفضلي فورًا ولا تكرري هذا الفعل؟

لم ترد الفتاة بأى كلمة وانصرفت خجلًا وأغلقت وراءها الباب بمنتهى الهدوء.

عاودت (جوليا) الكتابة والحوار مع حمزة وفهمت منه كل ما جرى، ثم طمأنته بكلمات تحمل معها معنى عدم الاستغراب أو تقبل مثل هذه الظواهر، وأشارت بما يفيد حدوث متشابهاتها

هنا في ألمانيا أو أوروبا بشكل عام. ووعدته بالتواصل معه بشأنها ومساعدته في تفسيرها.

أغلقت (جوليا) اللاب توب وفي ثوان بدت في غير الوجه الذى تراسل فيه حمزة وكأنها اكتشفت فجأة ما يدعو للقلق والخوف، ثم نظرت في ساعتها ونهضت على الفور واتجهت لقاعة المكتبة قبل أن تغلق أبوابها لتبحث عن شيء ما.

توصلت (جوليا) لما تبحث عنه فورًا، على شاشة كمبيوتر المكتبة وعلامات القلق تزداد على وجهها وكأنها لا تريد أن يصدق توقعها وتخمينها، فعرفت مكان الدراسة واتجهت لتحصل عليها مطبوعة ومجلدة فأخرجت من صفوف قسم الدراسات النفسية والعصبية إحداهما بعنوان:

N Tracks..Fact or Myth

مسارات نون.. حقيقة أم خرافة؟!..للباحث البروفوسيور الفرنسي ناثن لوبان

تصفحت (جوليا) الصفحات الأولى من الدراسة وتذكرت الأجواء التي صاحبت كتابتها، من رفض ونقاش وجدل علمي كبير.. وتلك الأحداث والجرائم التي ارتبطت بها وأدت إلى كتابتها والحديث عنها لفترة في الأوساط العلمية والنفسية.

وفجأة شعرت أن المكتبة ليست مناخًا صالحًا لقراءتها على الوجه المطلوب وحملتها وطلبت من موظف المكتبة استعارتها فرحب على الفور، فأخذتها وكأنها تحمل صيدًا ثمينًا واتجهت لباب المكتبة فإذا بها تلتقي بالفتاة التي طرقت بابها وفتحته دون إذن..فنظرت لها في عتاب

- كاثرين؟!...

- أهلا د.جوليا.. كيف حالك؟

- ماذا؟!... كأنك لا تبالين بما فعلت اليوم؟

- ماذا فعلت؟!

- مدهش... وتنكرين أيضًا...عموما أود أن أعرفك أن سلوكًا مثل هذا لو تكرر سأعاقبك.. الاستئذان قبل الدخول وعدم اقتحام فترة راحتي أمر لابد أن تضعيه في حساباتك فيما بعد

- أى دخول وأى اقتحام يا د. جوليا...عم تتحدثين؟!

في قلق وبصوت أقل نبرة:

- ألم تقتحمي عليا باب غرفتي وقت راحتى منذ ساعة

- إطلاقًا... لم يحدث.. لأني منذ ساعة كنت في الطريق للجامعة ولم أصل بعد... كأنك تمزحين معي؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تبق (المسارات السوداء) على حالها القديم، من بعث رسائل متقطعة في حوادث غير مفهومة، فمع إخراج الباحثة الألمانية (شتايندورف) لهذه الدراسة بعينها من أرفف المكتبة بدأت مرحلة جديدة أكثر وضوحًا، ولكنها الأصعب ليس على أطراف اللعبة فقط...لكن على أهل الكوكب جميعًا.

وفي خلال شهرين كاملين كان الفريق البحثي في مصر قد تآلف ووتضافرت جهوده لتفسير هذه الظاهرة، خاصة بعدما اقترح الصحفي (نزار غنيم) على د. مريد وحمزة صديقه انضمام زميلته صحفية الحوادث الشابة النشيطة (فدوى عبد الدايم) لكفاءتها وقدرتها على اقتحام أماكن ومناطق لا تفضلها أى فتاة في عمرها وجمالها.

ورغم أن الأخبار والتفاصيل التي جاءت من ألمانيا ووافتهم بها د. جوليا لا تطمئن بل تؤكد أن الظاهرة كبيرة وكونية ولا تقف عند حد اختفاء أو انتحار إنسان إلا أن الرؤية بدأت تتضح قليلًا خاصة بعد ظهور معلومات مهمة في ملف قصة اختفاء (رامي) وانتحار كل من (شهيرة) زوجته و(خالد بكر) قريبها وعم (صابر) بواب العمارة.

ولعل الدافع والمحرك الأكبر لكل هذه التطورات هو ما حدث قبل ذلك ب.٣ أسابيع تقريبًا، وتحديدًا منذ أن دشن الأربعة فريقهم البحثي، وبعد أن تلقى حمزة التاجي آخر وأهم رسائل د. جوليا شتايندورف حول (مسارات نون) بليلة واحدة

كانت ليلة قاسية...مرعبة... خارج إطار الاحتمال.. لذلك يبدو أن تلك الطاقة السوداء تعرف من تختار لتلقي له أولى رسائلها المباشرة والصريحة، فوقع الاختيار على غرفة حمزة التاجي.

فبعد أن انصرف الجميع مغادرين مكانهم في إحدى (كافيهات) مصر الجديدة بعد جلسة طويلة قرأوا وتدارسوا فيها ما توصلت إليه د. جوليا من نتائج بحثية حول هذه الظاهرة المسماة (مسارات نون) والتي تم اكتشافها منذ عامين وناقشها وكتب عنها زميلها الفرنسى الباحث (ناثن لوبان)، كانت جرعة الخوف والقلق كبيرة بما يكفي لامتلاء رأس حمزة بما يجعله الأكثر جاهزية لمقابلة الوافد المخيف

كان أول المودعين د. مريد الذي استقل سيارته وأخذ في طريقه فدوى لتوصيلها، ثم افترق كل من نزار وحمزة عند مدخل بيت الأخير حيث استقل نزار سيارته ومضى.

لم يفعل حمزة شيئًا أكثر من دخوله غرفته منهكًا متعباً غير عابئ بالهجوم المعتاد من والديه على حاله وتوقيت عودته.

كانت الرغبة في النوم قاهرة لأعين حمزة فتفوقت على جميع هواجس رأسه، وخلال دقيقة واحد كان يغط في نوم عميق..نوم لا يسهل الاستيقاظ منه إلا على مفاجأة من العيار الثقيل.. مفاجأة بحجم وقوة ندهة جديدة واضحة وجلية ومدوية ومتكررة

حمزاااااااا.....حمزااااااااا...... حمزاااااااا

هذه المرة لم يشك حمزة فيما سمع... وفهم على الفور أنه داخل حلبة الصراع الذى طالما حذره منه والديه من عالم البراءة والطمأنينة ولكن...فات أوان الندم

فتح المصباح المجاور للفراش فكانت الصاعقة التي تسمر أمامها، وبرد فعل لا يقدر عليه إلا هذا الشاب بقدر ما قرأ في علم (الخارقية) تجلد أمام ما رأى ولم ينتفض من مكانه، فكفاه ما سال على فراشه من ماء!!.

لقد حضر الغائب المنتظر، وحل ضيفًا على حمزة في غرفته، وها هو شاخص تماما دون أى تشويش بصري... يجلس على الكرسي أمامه ملء البصر واضعًا ساقًا على ساق وينظر بكل قوة

لحمزة

لقد وصل رامي... الذى طالما أجهد أطراف اللعبة بحثًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هل يتهم حمزة الآن نفسه بالجنون أو الشيزوفرينيا؟!... هل عليه أن يتعامل كما تعاملت يسرا مع عادل إمام في فيلم الإنس والجن أو عزت العلايلي مع شبح الطفل في فيلم (عاد لينتقم)...

هل عليه استعادة كل ما قرأ وما درس وما ترجم في هذه اللحظة العصيبة؟!... أم هل عليه أن يعي أن ما كان يحدث في أفلام الرعب الأمريكية مثل Paranormal Activity أو The Fourth kind أو حتى أفلام يس إسماعيل يس، يتحقق الآن على أرض الواقع وفي غرفته؟!

لم يمهله رامي كي يكون له أى ردة فعل، حيث قام من مكانه واتجه نحو باب الغرفة والتفت التفاتة تقول: اتبعني..

ففهم حمزة الرسالة وخرج خلفه بهدوء، ولكن بمسافة كافية...حتى خرج رامي من باب الشقة واتجه كالمتوقع نحو شقته المعتمة وفتحها..فتردد حمزة لثوان معدودة ليجد رامي في طلة مخيفة تحكي في صمت كلمة واحدة: ألم أقل لك اتبعني!!

دخل حمزة وفعل ما كان يثير اندهاشه من أبطال أفلام الرعب حين يصرون على اقتحام البيوت المسكونة.

واصل رامي المسير حتى وقف أمام صورة (شهيرة) ثم تقدم في الكوريدور المظلم، ولكن حمزة لم يمتلك الشجاعة الكافية كي يلحق به. وما هي إلا ثوان ولمح من إحدى الغرف إضاءة تنبعث من شاشة تلفزيون فتسمر في مكانه لمدة ربع ساعة ولكنه أصر على الدخول حين أدرك حقيقة انغماسه في القصة، وأنه مدرك من رامي لا محالة، إن لم يكن اليوم فغدا.

استجمع حمزة قوته الروحية ودخل الغرفة التي تنبث منها إضاءة التليفزيون فوجده جهاز (لابتوب) يعرض ٤ زوايا لكاميرات تصوير داخل البيت...وقد تأكد من ذلك حينما شاهد نفسه داخل إحداهما، ففهم أن الشقة مصورة بالكاميرات، ولكن قلبه لم يعد يحتمل فبدأ يرتجف خوفًا من ظلمة البيت الشديدة وخيالات الأثاث المرعبة فانطلق مسرعاً نحو باب الشقة، وفرح حين وجده مفتوحًا ولم يوصد في وجهه كما يحدث دائما في أفلام الرعب، فدلف إلى بيته ومنه إلى غرفته التي شعر أنها جنة مشرقة الأنوار بالنسبة لشقة رامي.

فهم حمزة مراد الرسالة، واستوعب جيدا حقيقة المفتاح الذى ألقى به رامي في رسالة من العالم الآخر، وفيه الإجابة والحل لكل الأسئلة والألغاز. إنها كاميرات الشقة التي لم يعرف أحد بوجودها ولم يستطع المحققون والمفتشون اكتشافها لدقة حجمها، ولعدم توقع أحد أن يتم تصوير بيت من الداخل فالمعتاد أن يحدث ذلك في الشركات والمكاتب وليس البيوت بما لها من خصوصية، ومن الواضح أيضا أن المسئولة الوحيدة عن الشقة أمام النيابة في فترة اختفاء زوجها ووجودها في المستشفى كانت لا تعلم أساسا بوجود كاميرات في البيت تقوم بتصوير ما يحدث وفي كل غرفة.

إذن هذه الكاميرات والمعروضة على (لابتوب) رامي الشخصي كانت بعلمه وحده، ووضعها ليراقب زوجته ليل نهار.

وبالطبع لم يفكر حمزة في النوم بعدما شاهد وسمع، فوضع جسده تحت الماء الساخن ثم صنع لنفسه كوبا من القهوة (الدوبل) وجلس يعاود قراءة رسالة د. جوليا حول (مسارات نون) منتظرًا بفارغ الصبر طلوع الشمس وبداية اليوم حتى يذهب لأصدقائه الجدد ويخبرهم بما حدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

وخلال هذين الشهرين أيضا استطاعت د. جوليا فهم واستيعاب أن ظاهرة مسارات نون لم تعد حادث عارض ولا تخص جريمة بعينها حدثت في برلين أو غيرها من بلاد أوروبا، فقدمت تقريراً كاملا متكاملاً أرسلته لحمزة وفريقه البحثي في مصر ليعي حجم تلك الكارثة المحدقة بالبشرية.

كان فحوى التقرير يؤكد أن N Tracks كما أطلق عليها الباحث الفرنسي في علم الباراسيكولوجي (ناثن لوبان) الظاهرة التي اجتاحت ألمانيا وفرنسا منذ ٣ أعوام وكان مؤداها ارتفاع معدل الجرائم والانتحار بدرجة كبيرة ومتلاحقة، وجميعها يتشابه في طريقة انتحار الضحايا وغموض ملابسات الحادث، واعتبر (لوبان) أن هذه المسارات عبارة سلاسل متتابعة من الطاقة السلبية التي تنتقل وتنتشر في مجال مغناطيسي محدد وتسبب حالة من الإكتئاب الذهاني ثم درجة من الهلع تصيب أقرب المحيطين بهذه الجريمة وليس فاعلوها فقط فيشاهدون ويستمعون إلى هلاوس تؤدى بهم في النهاية إلى الانتحار.

هذا هو التوصيف العلمي للظاهرة كما حلله (لوبان)، ولكن الأغرب والأكثر جدلاً والذي قوبل برفض بل وسخرية في الأوساط العلمية كان ما أضافه في تحليل تأثير هذه الطاقة التي لم يفسرها على أنها حالة فصام تؤدى إلى هلاوس تودى بصاحبها للانتحار فقط. ولكنها طاقة موجهة مقصودة تحمل في طياتها نوايا وإرادة ولها أهداف.

اعتبر (لوبان) بطرحه الجريء غير المنتشر عالميًا أن هذه الطاقة تنبعث جراء إزهاق أرواح بريئة، والاعتداء الوحشي عليها وسلبها حق الحياة غدرًا، وبالتالي فهي موجهة ولها مسارات مقصودة، بدليل أن الانتحار كان هو دائما مصير الجناة ومن ساعدوهم في كل هذه الجرائم التي يثبت فيما بعد أن وراءها ضحية قتل غدرًا.

وبقدر ما رفض هذا الطرح كثير من علماء الباراسيكولوجي بل ذهبوا إلى رمي (لوبان) بالإلحاد حيث أنه ينسب للكون ما هو خارج عن سننه الكونية التي وضعها الله إلا أن هناك فريق ليس بقليل دافع عن هذه النظرية واعتبر الموضوع عكسيًا وأن مبنى هذا الطرح هو الإيمان بوجود قدرة الله لأن القصد والإرادة والاختيار في حركة هذه الطاقة جميعهم فعليا يمثلون إرادة الله وقصاصه العادل من أى قاتل جائر أو معتد على الأرواح البريئة.

ربط (لوبان) حسب تعليق د.جوليا في تقريرها بين إرادة الله وبين قوانين وسنن الكون دون أن يصرح بذلك مباشرة بناء على أن هذا العالم يتكون من ذرات، وجزيئات، وإلكترونات وبروتونات سابحة ومهتزة... أي أن القانون العام هو (اهتزاز الذرة) بكل ما فيها.

وأن كل اهتزاز يدخل ضمن رتبة معينة وضمن موجة معينة (وهذا يقودنا الى أن الكون برمته عبارة عن موجات تختلف فقط في طول موجتها) وكلما زاد اهتزاز الشيء كلما زاد رقة واكتسب شفافية (كالغازات مثلًا).

وحواسنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب إلا مدى معين من الدرجات فمثلا حاسة السمع مقيدة بين درجات من (٢٠ الى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية) والأذن البشرية لا تدرك إلا أحد عشر سلماً ونصف من أصل بلايين السلالم الصوتية وأي شيء ذو درجة أقل أو أعلى فإننا لا ندركه.

وهذا يدل على أن الإنسان لا يستوعب إلا الأحداث الظاهرة فقط!!...

وما هو جدير بالذكر أن هذه النظرية سمحت للعلماء أن يفترضوا وجود أكوان متداخلة مع بعضها أى يخترق بعضها الآخر دون أن يشعر أحدها بوجود الآخر نظرا لتغاير رتبته في التردد والاهتزاز.

وهذا ما يفسر ظهور أجساد وأصوات بل وشخصيات كاملة تتحرك وتتكلم خارج عوالم الشهود والإدراك البصري والسمعي لا يراها ولا يشعر بها إلا من دخلوا نطاق هذه المسارات الموجهة.

وأخيراً اختار الباحث الفرنسي اسم Noon & Night Tracks أى أنها طاقة هجوم تنشط في الساعات الأخيرة من الليل كما أنها لا تهدأ في أوج لحظات الظهيرة فنشاطها لا يفرق بين الليل والنهار، وأن توقيت تحركها له علاقة ببدء الانهيار التدريجي للحضارة الأرضية، وعودة الإنسان وترديه لصورته البدائية الأولى وفناء الكون الذي يؤمن (لوبان) بأنه حتمي وقادم لا محالة، وأن المسارات السوداء الغاضبة هي بداية نهاية الكون.

إلى هنا انتهى تقرير د.جوليا حول تفسيرها لما أخبرها به صديقها المصري حمزة التاجي، وبناء عليه بدأت الرؤية تتضح وتستبين خاصة حينما انضم لأولئك القلائل المؤمنين بهذه النظرية العلمية الغيبية الغريبة فريق بحثي متكامل يتكون من ٤ أفراد كرسوا أنفسهم للتصدى لحل هذه الألغاز الغريبة.

وماذا عن كلمة (نون)؟!..

إنه الحرف الذى أضافه د. مريد لاسم الظاهرة حين عرَّبها، وكتب عنها في دراسته التي يرى أنها ستحظى مستقبلاً بحقها الكامل من البحث والتمحيص، وتوقع لها أن تحدث زلزالاً ليس في الأوساط العلمية والطبية فحسب بل على مستويات فكرية ودينية أيضاً، فاستبدل حرف الـ N إلى (النون) لتعطي الظاهرة مسحة هيبة وغموض رأى د. مريد أنه سيحتاجهما يوماً ما حين يقدم طرحه العلمي الغريب للمجتمعات الشرقية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن غريباً أن يكون أول المتحمسين لتفسير هذا اللغز على هذا المنحى هو نزار غنيم الذى لديه دائما حالة ربط لا تنقطع بين الله وبين كل الموجودات، بل ولاقت هذه النظرية استحساناً لديه إلى الحد الذى طمح فيه لملاقاة هذا العالم الفرنسي (لوبان) وتأكيده على أنه متصوف بل من أهل الله وخاصته!!

- مش قادر أصدق إن فيه عالم ومش عربي وعايش في بلد تانية بظروف تانية، وممكن هواه يبقى متوافق مع هوايا بالمنظر ده.. ده كلامه ودراسته دى، هى بالظبط مصداق الآية اللي بتقول (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون)... وفكرة تحرك الطاقة في مجالات الحقد والخيانة والغدر، وانطلاقها لتنفيذ قصاص الله ده طرح غريب جدا على المجتمع الغربي... انتو عارفين إن النظرية دى ممكن تلقى رواج كبير في مجتمعاتنا.

رد عليه د. مريد: ده صحيح...لأن مجتماعتنا أغلبها بيميل لتصديق الغيبيات بس الكارثة مش في فكرة تصديقها من عدمه...المصيبة الأكبر الحالة المصاحبة لانتشار فكرة زى دى...أنت متخيل كام دجال ومشعوذ هيخش فيها كسبوبة ويلم ملايين مستغل خوف الناس...قول يارب ما

نحتاجهاش كتفسير للي حصل ده تاني.

- ليه هو أنت مش قلت إن الكلام ده علمي وإنك متقبله على الأقل نظرياَ..وإن فيه حاجة اسمها Spiritism اللى ليها علاقة بالاتصال بكائنات غير منظورة...طبعًا بأمر الله؟!

- أيوا قلت كده... بالعكس ده النظريات العلمية الجديدة دايما بتقابل بالرفض والاستهجان، لكن أنا أقصد ربنا يغنينا عن الدخول في الجدل ده لأن مجتمعاتنا مش جاهزة للنوع ده من المناظرات وبياخد مننا أجواء تكفير وتجديف واتهام بالخرافة...واحنا مش ناقصين يا عم نزار.

نظرت (فدوى) في ساعتها بقلق شديد ثم قالت في عصبية:

أنا مندهشة جدا من الهدوء اللي انتو فيه ده، وعارفين إن حمزة ما نامش طول الليل وجاى يبلغنا ببلوة مسيحة حصلت له امبارح!!...وبعدين ده اتأخر جدا....أنا بدأت أقلق

- نزار: يا بنتي اهدى... إحنا مش لسه طالبينه ع الموبايل وقال إنه بخير وفي الطريق..دلوقت يوصل ونعرف منه كل حاجة

وما هي إلا ثوان ويدخل حمزة شاحب الوجه وعليه علامات الإجهاد مع مسحة ثقة وثبات نابعة من كونه يشعر بأن أول الخيط وراء ما يحدث قد أصبح بين أيديهم.

مرت نصف ساعة يحكي فيها حمزة ما حدث والرعب والوجوم يتملك (فدوى) وينال قليلاً من (نزار) باعتبار أن كليهما سمع ولم ير وليس من سمع كمن رأى.

ولذلك كان حمزة يوجه كثيرًا من حديثه للدكتور مريد باعتباره ممن طالهم مس مباشر ورأوا ما تشيب له الرأس

قطعت (فدوى) حديث حمزة، بصوت يبدو عليه الخوف:

- حمزة...معلش سورى.. أنت بتشتغلنا ولا بتتكلم بجد؟!

حمزة يتنهد تنهيدة يأس وإحباط ثم يجيبها:

- فدوى ممكن أسألك سؤال؟!... هو أنت مستغربة ليه من اللي باحكيه مع إنك صدقتي كلام شبهه قلنالك إنه حصلنا قبل كده... وبناء عليه اختارك نزار معانا في المهمة دى

- يعني إيه؟!... يعني ده شبح رامي؟!...يعني رامي مات؟!.. طب أنا مش بانكر إني دخلت في القصة دى علشان افتكرت وراها جريمة قتل وده صادفته كتير في شغلي...لكن انتو بتتكلمه عن رؤية شبح بالشكل الطبيعي ده إزاى؟!

بدأت نظرات مريد وحمزة لفدوى تختلف، وبدأت علامات الإحراج تبدو على وجه نزار الذى اختارها لهذه المهمة وأكد لأصدقائه أنه جهزها تمامًا لفهم حقيقة المشكلة وطبيعتها الشاذة والغريبة. فبادرها نزار بقوله:

- فدوى...مالك فيكي إيه؟... إيه الكلام الغريب ده؟.. افتكري كده معايا أنا قلتلك إيه لما طلبت منك الاشتراك معانا...فاكرة

- لأ

- قلتلك ودعي دنيا البراءة.. وطلقي راحة البال... ومن انهارده أنت مختلفة عن أى حد ماشي جنبك في الشارع...وممكن يكون اللى احنا فيه ده اصطفاء إلهي من ربنا..زى أهل الكهف كده..وربنا اختارنا علشان يطلعنا على أول نواة لبداية نهاية الكون...أنت مش مؤمنة ولا إيه؟

- ونعم بالله...يا جماعة سامحوني...أنا والله مش باقصد حاجة..ومش عايزاكو تقلقوا مني...بس الكلام ده أكبر من طاقات استيعابي

يربت على يدها الدكتور مريد في حنان وأبوة:

- بصي يا فدوى...أنت يمكن أكبر من ولادى ومش عايز أكبر نفسي وأقول أنت زي بنتي..لكن والله أنا عاذرك جدا ومقدر قلقك..أولا لأنك بنوتة جميلة..وبدل ما تفكري في حياة طبيعية وهادية اخترتي تخشي معانا في السكة الغريبة دى..ثانيا لأنك ما شفتيش اللى أنا وحمزة شفناه قدام عينينا قبل ما نعرف بعض أصلا... القصة كبيرة بس مش معنى إنها كبيرة إن مالهاش حل... احنا كنا فين وبقينا فين...النهارده حطينا إيدينا على السند العلمي للي بيحصل وتفسير مناسب جدا ليه...ودلوقت حمزة بيدينا بداية حل اللغز اللي هيأكد النظرية دى...ساعتها لو ده حصل... احنا ممكن نخش التاريخ...مش بس كده...ده احنا هنرتاح كلنا لأن ضحية الجريمة دى هيرتاح وروحه تطمن وتنتهي كل المشاكل.

ابتسمت فدوى ابتسامة اعتذار، وبدت على وجه نزار علامات الطمانينة والرضا من كلمات مريد وشعر لأول مرة بإحساس أن للمهمة كبيرها وقائدها الذى يجيد السيطرة على فريقه في أحلك الظروف.

عاد حمزة لاستئناف حديثه ثم توقف فجأة وأخرج ورقة وقلم من حقيبته الصغيرة التي يحملها دائما على كتفه وبمنتهى الصرامة قال:

- دلوقت يا أساتذة احنا قدام جريمة ضحيتها بيصرخ وينادينا، ويرمي لنا خيوط الحل...كاميرات الشقة اللي واضح إن (شهيرة) ما تعرفش عنها حاجة هي اللي هتحل اللغز ده وتحكي القصة كلها بدون مجهود.

وفي حالة طلب النيابة إعادة تفتيش الشقة واستخراج الكاميرات وتفريغها صوت وصورة هنعرف مضمون الرسالة اللي عاوز رامي يقولها لنا.

ودى مهمتك يا (فدوى)... باعتبارك صحفية حوادث هتستغلي علاقاتك وترجعي لمحضر اختفاء رامي المحفوظ في ملفات النيابة وتحاولي توصلي لابن خالة والدته في البلد، فاكراه اللي جه ومضى على قرار النيابة وتطلبي منه إعادة فتح ملف اختفائه وطبعا ده بعد ما تفرقعي حملة صحفية كبيرة أنت والباشا نزار تعيد النشر في القضية تاني وتخليه حديث الرأى العام، فيضطر قريبه ده حتى لو رفض إنه يتحرك غصب عنه.

كل ده لازم يتم في أسرع وقت علشان ببساطة كده أنا مش حمل ليلة كمان يزورني فيها أخينا ده...اللي ما كنتش باشوفه خمسة أيام على بعض في السنة يقوم يطلع لي من أوضتي كل ليلة!!!

...أرجوكم ده أنا حاسس إني جالي السكر م اللى حصل إمبارح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ذكر الدكتور (لوبان) مكتشف مسارات نون أنها طاقة ليست عمياء، بل تعرف أين وكيف تسير، وتعرف أيضا كيف تختار قنوات رسائلها، حين تحمل أرواح الضحايا على جناحيها وتنطلق كرياح تدمير غاضبة، وتنال من كل خان وقتل وشارك..

كانت شرائط الكاميرا المفرغة لستة شهور قبل الحادث كما قال حمزة هي الحل الحسم لكل ملتبس، وبمشاهدتها في جلسة سرية أمام النيابة، تجسدت المأساة الكاملة في آخر ستة شهور من حياة كل من رامي وشهيرة وخالد بكر وعم صابر البواب.. ولكن الفيديوهات التي لخصت الحكاية، وأفصحت عن حقائق صادمة كانت كالتالي:

الفيديو الأول:

شهيرة تودع زوجها رامي قبل سفره عند الباب بالقبلات والأحضان:

- هتوحشني يا حبيبي

- أنت أكتر يا روحي... ما تخافيش مش هاغيب كلها ٤ أيام

- آه والنبي.. خلص المؤتمر وترجع علطول

- حاضر...مش عايزة حاجة؟!

- سلامتك.. يالا بقى علشان الناس مستنياك تحت وطيارتك فاضل عليها ساعتين..فيدوبك

تغلق شهيرة الباب وتدخل غرفة نومها... وتجلس أمام (التسريحة) وتضع مكياجها وعطرها ثم تمسك بهاتفها المحمول وتجري اتصالًا:

- أنت فين؟.... فين؟... يعني إيه لسه في الشغل؟... احنا مش متفقين امبارح ع المعاد...ماشي يا خالد...براحتك... أنت بجد سخيف وبتبوظ أى مفاجأة أنا باعملهالك... عموما براحتك...بس أحب أقولك إن رامي مش في الشغل ده سافر...يعني بره مصر... كنت عاملهالك مفاجأة...بس أنت ما تستاهلش

تغلق التليفون في غيظ وحنق، وبعد دقيقتين فقط يرن هاتفها المحمول فترد بعصبية تمتزج بالدلال

- نعم؟!..خير؟!... بجد؟!!... أنت غلس.. حاضر حاضر هافتحلك حالا ما تخافش جيرانا مش موجودين بيصيفوا

تتجه شهيرة نحو الباب بشوق وفرحة، لتفتح فيدخل خالد بكر ويعانقها بذراعيه حول خصرها ويحملها ويدور بها وهي تلف ذراعيها حول رقبته ويتبادلان القبلات الحارة، ويستقران على أريكة (الأنتريه)

- بجد أنت غلس...

- إيه يا روحي قلت أعملهالك مفاجأة...معقول يعني أتأخر على حبيبة قلبي....بس سيبك انتي أحلى خبر إن (البقف) سافر

- يا ساتر... ده كان ناوي يأجل قال إيه: مش قادر يسبني لوحدي

- أهو غار... هيقعد قد إيه؟!

- جاى ع الأربع الصبح كده

- مممم.... يعني قدامنا ٤ ايام...مش وحشين

الفيديو الثاني:

شهيرة في بهو الشقة تجري اتصالاَ هاتفيا وهي في قمة العصبية

- أيوه يا خالد... عمالة أكلمك م الصبح..أنت فين؟!.... أيوه طلع عرف فعلا...تعالى بقى شوفلك حل معاه الحيوان ده...تصور الكلب ده حاول يساومني ويقرب مني الأول...ولما هزأته راح طلب فلوس...وهددني لو المبلغ ده ما جاش النهارده هيبلغ رامي بكل حاجة ويفضحنا قدام العمارة كلها....

أنا عارفة بقى.... اتصرف.... ما أعرفش شافك إزاى...شكله كان مراقبنا...المهم تعالى بسرعة واتصرف معاه...ما تسيبنيش لوحدى

آه نزل.... لا بس هيتأخر انهارده لحد بالليل...لأ مش هينفع تيجي طبعا... لأنه ممكن يطب في أى وقت...وبعدين أنت في إيه ولا في إيه؟!!...خلينا نخلص الأول من مصيبة الزفت اللي اسمه صابر ده

ما اعرفش يا خالد...وأنا اجيبله منين ٢٠ ألف جنيه النهارده...أنت مجنون؟!..... متنيل على عينه قافل الخزنة وبيفتحها ببصمة إيده.... كده يا خالد... طيب ماشي ربنا يأخدنى ويريحني منكم كلكم

الفيديو الثالث:

في غرفة النوم.. شهيرة وخالد على الفراش يضحكان وينفثان دخان السجائر ويتبادلا الحديث... يرن جرس هاتف خالد..فيقوم من مكانه بملابسه الداخلية فقط ويمسك الهاتف ويبلغ شهيرة أنها زوجته... فتضحك بصوت عال..فيشير لها خالد بعصبية

- ششششششششش...أيوه يا داليا... أنا في اجتماع دلوقت لما أخلص هاكلمك....باقوللك في اجتماع... مش هاعيد الكلام ميت مرة

يغلق الهاتف ويرتمي في أحضان شهيرة، وبعد خمس دقائق يرن هاتف شهيرة فتبلغ خالد أنه رامي فيلوح لها ممتعضًا

- أيوه يا رامي... ليه يعني؟!... لا مش عايزه حاجة....يا سيدى ولا قرفانة ولا حاجة؟!... أنت هتضايقني بالعافية

تغلق الهاتف وتقول:

- سي زفت جاى... يالا قوم بسرعة

- لا بقى كده كتير ده أنا كان بقالي شهرين ما شفتكيش من ساعة حكاية الزفت صابر ده... كده مش هينفع يا شوشو

- طب أعمل إيه بس يا حبيبي... والله فهمني إنه هيبات في الغردقة انهارده...معلش تتعوض بقى يا دودو

بلهجة عنيفة ووجه مختلف رد خالد

- باقوللك إيه...أنا مش هينفع أكمل كده... الزفت ده لازم نخلص منه

- تاني يا خالد...تاني...أنا مش قلتلك مش دلوقت ع الأقل لما أعرف فلوسه اللى شايلها في البنك بره دى إيه نظامها.. ويكتب لي شقة الساحل

- يا غبية ما أنت هتورثيه...ده مالوش أهل

- وإيش عرفني...أنا ما أعرفش عنه حاجة قبل الجواز.. مش يمكن ليه حد يطلع لي زى الخازوق...اصبر شوية ع القصة دى علشان خاطري يا دودو... ده أنت قادر صحيح...لابس بيجامته وعايز تقتله ههههههههههههههههههه

- الفيديو الرابع:

شهيرة ورامي يتشاجران في غرفة النوم ويتبادلان السباب..

رامي يمسك بشعرها بقوة...

- أنت إيه حكايتك... إيه اللى جرالك... أنت بقالك مدة معايا ومش معايا... قولي بدل ما اقتلك.. انطقي وعرفيني الحقيقة

- سيب شعري... باقوللك سيب شعري يا حيوان

رامي يصفعها على وجهها فيطرحها أرضا، فتقوم بسبابه:

- طبعا بتستقوى بدراعك بس... ده آخرك.. علشان عارف ومتأكد إنك مش راجل... كفاية إنى مستحملة العيشة معاك على وضعك ده... تغور فلوسك ويغور الحب والزفت... أعمل إيه بحبك ومشاعرك... تحل مشكلتي كواحدة ست إزاى... حرام عليك حرمتني م الحياة...ربنا ياخدك ويرحني منك

يستمر في صفعها مرة تلو الأخرى

- الفيديو الخامس:

شهيرة تتحدث في هاتفها المحمول بعصبية ثم تنهمر في البكاء:

- أيوة يا خالد... أنت فين؟...خلاص يا خالد...أنا مش قادرة استحمل... الكلب موتني م الضرب...أيوة تعالى بسرعة...بس رن لي لما تيجي طالع الأول علشان مدام سميحة جارتنا بتنزل وبتطلع كتير في الوقت ده

بعد ساعة كان خالد أمامها يواسيها:

- قلتلك نخلص منه...كان لازم ده يبقى ساعتها

- صح...أنت صح... لازم نقتله بأسرع وقت

- للأسف مش هينفع دلوقت

- أنت بتهزر

- لا والله باتكلم بجد

- يعني إيه؟

- يعني لازم ننفضه الأول... أنت لازم تكسبيه اليومين الجايين بالذات لأني عرفت إنه دخل على صفقة بالمليارات هو وشريكه اللبناني..السوق كله بيتكلم عنها... جوزك ده رغم إني ما باطيقوش...لكن شاطر يحط إيده ابن الكلب في التراب يبقى دهب...يالا أهو ربنا بيقطع من حتة ويوصل من حتة هههههههههههههه

- خالد أنت شكلك شارب ومش فايق... يولع بجاز هو وملياراته...أنا مش قادرة أعيش معاه يوم واحد

- يا حبيبتي بلاش تبقى غبية وتخسرينا كل حاجة، ما كل ده ليكي يا روحي

- اااه كتر خيرك...والمفروض أصدق إنك خايف عليا وانت عمال تقولي الدهب والمليارات....اسمع يا خالد... لو ما قتلتوش أنت أنا هتصرف

- هههههههههههههه هتعملي إيه يعني؟!

- هاقتله... هاصالحه وهو بيجي زى الكلب بإشارة مني... وبكره هاجهز له أحلى أكل بيحبه وهاسمُه

- أنت بتهرجي طب ما البوليس هيعرف إنه مات مسموم

- وممكن ما يعرفش... المهم إنى هاتصرف لوحدى.. ومش عايزة منك حاجة

- ليه كده بس يا حبي... إهدى بس...إهدى وتعالى جوه أنا هاصالحك

- الفيديو السادس:

رامي يجلس وحده في البهو ويتحدث في المحمول:

- أهلا أهلا خالد بيه.... ده كلام؟!... هتستهبل...يعني مش عارف صوتي... باقولك إيه يا حبيبي... أنا بايع...عارف يعني إيه بايع...البضاعة الوسخة ما تلزمنيش... أنا ما أخسرش أبدًا..أوعى تكون فاكر إني مش عارف وساختكم من أول يوم.... أنا ساكت بمزاجي..ما هو مش معقول أفضح نفسي في وقت حرج زى ده...واخسر البيزنس بتاعي علشان حتة كلبة ما تستاهلش تربط لي جزمتي... أنا بس حبيت أعرفك إني عارف... وهاطلقها وأرميها رمية الكلاب بعد ما اطمنت على شغلي خلاص... وومش هينفع أقفل الملف ده من غير ما أفضحك قدام مراتك وولادك الصغيرين.... لازم ينوبك م الحب جانب يا دودو ههههههههههههه

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

كان الفريق البحثي يتحرك في كل اتجاه بكل دأب وإخلاص، بعضهم بدافع الخلاص من هواجس تعصف بأذهانهم ليل نهار كما يقول حمزة، وأحيانًا بدافع إثبات حقائق علمية طبية قد تفيد البشرية وتحرز نجاحًا طبيًا كما يرى د. مريد، أو بدافع فهم مراد الله في خلقه كما يفكر نزار، أو بدافع تحقيق خبطة صحفية كبيرة يتحدث عنها الشارع المصري كما تطمح فدوى...

والمسارات السوداء الغاضبة تخدم الجميع وتزداد صرخاتها وتشويشها على كل الأطراف بدافع الانتقام وارتياح ما تحملها من أرواح جريحة ومكلومة...ولكل دافعه ومراده..وكل يغني على ليلاه

ويبدو أن زائر الفجر لم يترك حمزة، بل عاود زيارته وألقى له بمفتاح جديد حين رمى له باسم المجرم الوحيد الذى أفلت من دوائر الهلع وموجات الانتحار وهو (عزوز الشرقاوي) أحد رجال خالد بكر المخلصين، ومنفذ عملياته القذرة، وفي نفس الوقت رئيس العمال في مصنع الطوب الرملي الذي يملكه خالد

اعترف عزوز بعد مواجهته تحت ضغط النيابة بقتل المدعو (رامي السيد نبيه) بعد اختطافه من أمام مقر شركته واحتجازه يومًا كاملًا في مصنع الطوب الرملي ومواصلة ضربه والاعتداء عليه ثم إلقائه وحرقه في الجير الحي والتخلص تمامًا من جثته

كما أخبر عزوز النيابة بأن خالد بكر كان من يعطيه الأوامر لتعذيب رامي وكان يشرف على ذلك بنفسه وهو من أمر بإلقائه في الجير الحي، وطلب منه ألا يخبر أحد بذلك وبالأخص عشيقته زوجة رامي التي لم تعرف شيئًا عن اختطاف رامي وحرقه، حتى أن خالد بكر الذى كان يبلغه بكل تفصيلة في حياته في قعدات المزاج الخاصة بينهما أن شهيرة تخطط في نفس الليلة التي قتل فيها زوجها لقتله بالسم في عشاء فاخر في منزلهما وأنه لا يحبذ هذه الطريقة للخلاص منه فقرر حرقه في الجير الحي وكان ينوى أن يجعلها مفاجأة سارة لعشيقته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تستطع رياح الغضب أن تصبر على هذا الكم من الغدر والخيانة والخديعة والعنف، فكان الرد سريعا وفي نفس الليلة

فلبت روح رامي المكلومة والمضرجة بالدماء دعوة عشاء زوجته، وأصر على زيارة خالد بكر ومداعبته قبل انتزاع روحه بالذعر بعد مقتله بيوم واحد ثم فرغ لعم صابر البواب الذى دأب على ابتزاز العشيقين وكسب الحرام على حساب خيانة كان يعلمها ويبارك مرورها أمام عينيه.

كان رامي هو التشويش الذى أزعج الدكتور مريد وأرق نومه، وزار حمزة أكثر من مرة فجراَ وحاول التواصل مع أمه، ولعله نادى على الأستاذ عادل في تلك الليلة ولكن الأخير نومه كان ثقيلًا

ولم تدع روح رامي التي ظلت تصرخ سبيلاَ للانتقام إلا وخاضته، حتى أنه قام بالتشويش على د. جوليا أكثر من مرة لتحفيزها في إيصال بحث رسالة الدكتور لوبان لحمزة التاجي.

..وأخيرًا..

بقى الإشارة إلى أهم مسألة وهي الفيديو الخطر والأصعب في تفريغ كاميرات شقة رامي والذى

أثار ذعر وكيل النيابة نفسه حسبما قال لفدوى الصحفية، وقال أنه أدخله في حالة اكتئاب ذهب على إثرها للطبيب النفسي وهو فيديو العشاء الأخير بين رامي وبين شهيرة..

لحظة أن صرخت شهيرة وابيض شعر رأسها من هول ما رأت..فماذا رأت؟!

الفيديو يوضح أن شهيرة وحدها ولا شيء معها حيث صرخت عدة صرخات هستيرية وارتمت على الأرض وزحفت للوراء كما لو كانت ترى وحشا يطاردها من جهة الأمام، وظلت تتوسل إليه قائلة: لاااا يا رامي...والنبي يا رامي...

والراجح أنها أصيبت بحالة هلع من بشاعة منظر زوجها الذى اختار أن يزورها على آخر هيئة قتل بها في مصنع خالد بكر، فكان مشوها مضرجا بالدماء حين فاجأها وخرج من غرفة النوم فأرداها مغمى عليها على الفور، ثم عاود زيارتها في المستشفى حين أجبرها على إلقاء نفسها من نافذة الغرفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم فقط..أشرقت شمس مختلفة..

اليوم فقط بدأت الحياة تسير وفقًا لطبيعتها المعتادة في ٤ بيوت لم تعرف طعم الراحة والأمان والدفء طوال ما يقرب من نصف عام..

وبعيدا عن أن الأستاذ عادل بطبيعته العملية نجح في امتلاك شقة جديدة في منطقة بعيدة تماما عن دائرة الأحداث وقريبة جدا من مقر عمله الجديد ليعيش في سلام وراحة بال هو وزوجته، فلم يمانع ابنهما الشاب المشاغب حمزة في الانتقال معهما لاحتياجه هو الآخر لمسح ما حدث من ذاكرته والاستجمام الذهني عله ينسى ما رأى وما سمع، ليستعد لخوض غمار معارك جديدة متسلحًا بكتبه وقراءاته

ولم يختلف طعم قهوة وسيجارة الصباح كثيرًا بالنسبة للدكتور مريد عن ذى قبل، فعقله العلمي العملي أوصله لنتائج مفادها التسليم بنظرية (مسارات نون) التي يفكر في بدء كتابتها لتعريبها وتعميم دراستها، لذلك لم يزل هناك في ذهنه ما يشغله عن الإشارة البريئة الصافية لأولاده وهم يركبون (باص) المدرسة...

- فين باى باى بتاعة زمان اللي طالعة من قلب رايق؟!!

قالتها زوجته في عتاب حنون باباتسامة رضا وقبول بأن العواقب جاءت سليمة.

وقفت (فدوى) مع صديقة عمرها ليلة خطوبتها تساعدها في الاستعداد والمكياج، وأدركت بمنتهى الرضا والسعادة وقتها كلام الدكتور مريد وزميلها نزار عن أنها أصبحت فتاة مختلفة، وأنها رغم جمالها ورقتها ووداعتها إلا أنها خلقت لأمر أعظم وأهم وأجل بكثير من المسار الطبيعي لأى فتاة مثلها.

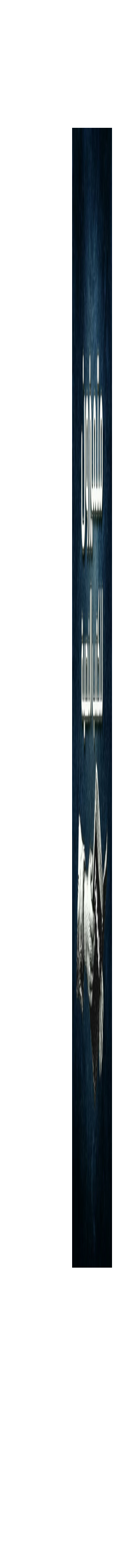
وفي ركن دافيء مشرق بالأنوار، أسند (نزار) ظهره على حائط مقام السيدة زينب رئيسة الديوان، وهو مغمض العينين مبتسم الوجه، يتنفس بعمق ممسكا بسبحته، مرتدياً طاقيته الخضراء، ممتناً شاكراً لله على ما أقامه فيه.

عاد الجميع لحياته الطبيعية، ولكنهم أبدا لم يعودوا كما كانوا من قبل..

فقد مضى عهد البراءة، وانهدم سور كبير داخل نفوسهم، قد يجعلهم مكشوفين وفي مرمى تجارب جديدة.. وربما مسارات أخرى اختارهم القدر ليكونوا في نطاقها.

فأين تذهبون؟!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

الفهرس..